التوحيد

المجلد ٣٥ – العدد ٤

صفر وربيع الأول ١٤٤٧هـ أغسطس–أب / ٢٠٢٥

وإن هذه أمتكم أمة واحدة

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd.

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

أغسطس 2026 | المجلد 39 | العدد 4

صفر وربيع الأول 1447 هـ أغسطس / آب 2026

٢ | **كلمة التقوى**
االخَاتَمِيَّةُ ضَرُورَةٌ عَصْرِيَّة

4 | **في رحاب القرآن**
مفهوم السوق والشفاعة

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
من شمائل النبي وخصاله المعظمى ﷺ

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
ووالله هذا كله من محمد ﷺ

10 | **عزوة بدر الكبرى.. مصداق نبوءات الكتب السابقة**
خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٦/١٦م

18 | **الصلاة على النبي ﷺ معناها ومبناها**
مراد الله إدلبي

23 | **محمد ﷺ سبق الهدى** (قصيدة)
محمد منير إدلبي

24 | **محمد ﷺ جامع كمالات النبيين، نظرة في معنى الخاتمية** حلمي مرمر

28 | **من محرر العبيد الحقيقي؟!**
سامح مصطفى

34 | **شهادة الرياضيات على كون الإسلام واضع أسس الحضارة الحديثة** مريم شرف الدين

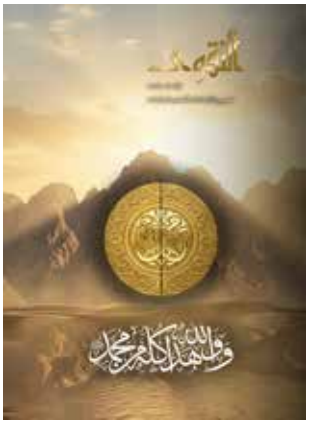

التدبر في كمالات النبـي ﷺ مَعِينٌ لا ينضب لاستلهام الأسوة الحسنة في كل زمان ومكان. فمن أحداث سيرته، ومن ثباته في المحن، ومن حكمته في السلم والحرب، نجد ما يكفينا من الدروس والعِبَر.

الخَاتَمِيَّةُ ضَرُورَةٌ عَصْرِيَّة

على الرغم من شدة حر أغسطس، فإنه يطل علينا هذا العام حاملًا معه نسيمًا روحانيًّا خاصًّا؛ حيث تزدان الآفاق بذكرى المولد النبوي الشريف، تلك اللحظة الفارقة في تاريخ الإنسانية التي لم تسعد لمجرد مولد شخصية عظيمة، بل كانت سعادتها لبزوغ فجرٍ جديد بدد ظلماتِ الجهل، وأرسى دعائم حضارةٍ أَصَّلَتْ لقيم الحق والخير والجمال، سابقة بها المنجَز الثوري الفرنسي بأكثر من ألف عام من الزمان. وفي هذا العدد الاحتفائي آثرت التقوى أن تُحلّق في سماوات السيرة النبوية العطرة، غير مكتفيةٍ بسرد الوقائع، بل ومستلهمةً الرؤى الكفيلة بمعالجة قضايا العصر الراهن من خلال عبقرية وسُمُوّ الشريعة التي جاء بها خاتم النبيين ﷺ.

إن الاحتفاء بالمصطفى ﷺ هو في جوهره احتفاءٌ بالقيم الإنسانية الحضارية التي جسَّدها في شخصه وسلوكه، كما تمثلت فيما تلقَّاه من وحيٍ تشريعيّ. ومن هنا، ترتكز فكرة هذا العدد على شمولية الرسالة، تلك الرسالة التي لم تترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وَوَهَبَتْ له روحًا وقيمة، بدءًا من تحرير الإنسان من رق العبودية، مرورا بحيازة كمالات الأنبياء في شريعة جامعة، وصولًا إلى تقديم نموذج سياسي واجتماعي يقوم على السلم والوئام، لا على المغالبة والإكراه.

ومن المفارقات التي يغُصُّ بها حَلْقُ التاريخ نسبة الفضائل لغير أهلها، وطمس الحقائق تحت ركام الدعايات المغرضة. ولعل قضية تحرير الإنسان من أكثر القضايا التي تعرضت للتزييف. فبينما يحتفي العالم اليوم بمواثيق حقوق الإنسان الدولية، نجد أننا كثيراً ما نغفل عن صاحب هذه الفكرة الأول، الذي وضع بذور الحرية والمساواة في تربةٍ كانت تئن تحت وطء أقدام الطبقية النتِنَة والمتاجرة بالبشر.

إن من يقرأ سيرة النبي ﷺ، بشيء من التجرد، يدرك يقينا أنه كان المحرر الأول والأعظم فاعلية؛ إذ لم يكتف بوضع التدابير المؤدية إلى إلغاء العبودية بصورتها المادية التقليدية فحسب، بل حرر العقول والقلوب من عبوديةٍ أشدَّ خطورةً وأفدحَ أثرًا، هي عبوديةُ الأوهام، وأصنام الصخر والفكر. لقد طلعت شمس الإسلام والدنيا بأسرها تمارس العبودية كجزء لا يتجزأ من البنية الاقتصادية والاجتماعية، فخلق ثورةً منهجية هادئة، تدرجت في تجفيف منابع الرق، عَبْرَ فتحِ أبوابِ العتقِ في الكفاراتِ والعبادات، وجعْل فَكِّ الرقاب من الأعمال المقرّبة إلى الله. إن تلك الصيحة المدوية التي أطلقها الإسلام في وجه الجاهلية هي التي أرست الأساس الأخلاقي لكل حركات التحرر التي جاءت بعدها بقرون، ومن الظلم التاريخي أن تُسرق هذه الأمجاد ويُصوّر الإسلام كدين كرّس للعبودية، بينما الواقع يشهد أن روح الشريعة الإسلامية كانت دوما تنشد الحرية والكرامة لكل بني نوع الإنسان.

إننا، انطلاقا من اليقين التام بقيومية الله تعالى، نعتقد بأن قضايا هذا العصر تدعو أن يكون نَبِيٌّ خاتَمٌ قد بُعِثَ سلفًا؛ فَتَبَوُّؤُ النبي محمد ﷺ مقام الخاتمية لهو من قبيل الضرورة التي يقتضيها عصر بلغت فيه المفاسد منتهاها من السوء، فلم يعد بمقدور هدي أي من النبيين السابقين أن يُصلح بمفرده ذلك الفساد المستفحل والمستشري، فأصبح مبعث نبي جامع لكل الفضائل والكمالات التي ميزت من سبقه من النبيين ضرورة يتطلبها العصر. والشريعة الإسلامية من هذا المُنطَلَق هي الثمرة الناضجة لكل الرسالات السماوية؛ فهي شريعة وازنت بين مطالب الروح ومقتضيات الجسد، وبين حق الفرد ومصلحة الجماعة.

إن التدبر في كمالات النبي ﷺ مَعِينٌ لا ينضب لاستلهام الأسوة

ومن المفارقات التي يغُصُّ بها حَلْقُ التاريخ نسبة الفضائل لغير أهلها، وطمس الحقائق تحت ركام الدعايات المغرضة. ولعل قضية تحرير الإنسان من أكثر القضايا التي تعرضت للتزييف. فبينما يحتفي العالم اليوم بمواثيق حقوق الإنسان الدولية، نجد أننا كثيرًا ما نغفل عن صاحب هذه الفكرة الأول، الذي وضع بذور الحرية والمساواة في تربةٍ كانت تئن تحت وطء أقدام الطبقية النتِنَةِ والمتاجرة بالبشر.

الحسنة في كل زمان ومكان. فمن أحداث سيرته، ومن ثباته في المحن، ومن حكمته في السلم والحرب، نجد ما يكفينا من الدروس والعِبَر. لقد دبر الله تعالى أحداث هذه السيرة الطاهرة لتكون برهانًا ساطعًا على صدق نبوته ﷺ، حتى إنَّ من المواقف التي قد يراها البعض ضعفًا، كانت في حقيقتها إعجازًا تربويًّا وتاريخيًّا، لتكون شاهدًا على ما مر به الأنبياءُ السابقون وتصديقًا لهم. إن محمدًا ﷺ هو الخاتم الذي طبع بصمته على جبين التاريخ، فلا يُقبل من الدين إلا ما ختمه ولا يُهْتَدَى في ظلماتِ خِضَم الفتن إلا بنورِه.

وفي ضوء الكمالات المحمدية، تبرز حاجتنا اليوم إلى تصحيح المفاهيم المشوَّهة والمشوِّهة التي أُلصِقت عنوة بدين الإسلام.

إن السيرة النبوية تعلمنا أن بناء الدولة لم يكن غاية بحد ذاته، بل كان وسيلة لإقامة الحق ونشر السلام. وفي ظل مناخ الإسلاموفوبيا والاتهامات المتبادلة، يجب أن نستحضر شجاعة النبي ﷺ في عقد الصلح، وحرصه على حقن الدماء، ورغبته الأكيدة في التعايش مع الآخرين بسلام. إن دعوة الإسلام هي دعوة صلح ووئام عالمية، تتجاوز حدود الجغرافيا لتخاطب الفطرة الإنسانية السليمة. وإننا نقترح بتواضع على كل من يرمي الإسلام بتهم الإرهاب أو التسلط، أن ينظر إلى الخشبة التي في عينه أولا، والتاريخ شاهد على أن أعظم المآسي الإنسانية لم تكن بسبب اتباع الشريعة الحقيقية، بل بسبب هجران قيمها الأخلاقية.

إننا في عدد شهر أغسطس الذي يواكب صدوره ذكرى مولد النور، إيذانا بإشراق الأرض بنور ربها، نضع بين يدي المثقف العربي وقارئ العربية في كل مكان رؤية متكاملة تربط بين الماضي والحاضر. لذا نرى أن الاحتفال بمولد النبي ﷺ فرصة لإعادة قراءة سيرته بعين جديدة باحثة عن الحلول لمشكلاتنا المعاصرة، وننطلق من درة هذا العدد، خطبة سيدنا أمير المؤمنين (أيده الله تعالى بنصره العزيز) في تناوله جوانب من سيرة النبي ﷺ والأنباء القديمة عن انتصاره الملحمي في غزوة بدر الكبرى. وفي زاوية مقالات العدد ندور في أفلاك شتى حول شمس النبوة المحمدية، ففي فلك الصلاة على النبي نعرض لرؤية الكاتب عن كنه تلك الصلاة. وفي فلك تصحيح المفاهيم نعرض لمصطلح ختم النبوة ومفهومه الصحيح. وفي فلك التحقيق التاريخي نستعرض الدلائل على كون النبي ﷺ المُشرِّع الأول والحقيقي لتحرير العبيد. فندعو الله تعالى أن يكون فريق تحرير التقوى قد وُفِّق ولو بسهم في التعريف بسيره سيدنا محمد الطاهرة الزكية المزَكِّية، وأن يرزقنا برَّه كما رزقنا شفاعته، آمين.

مفهوم السَّوق والشفاعة

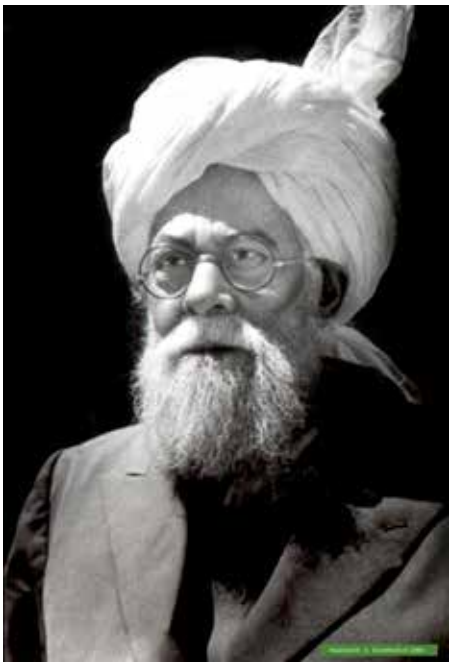

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٧﴾

لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٨﴾

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم ٨٧)

شرح الكلمات:

نسوق: ساق الماشيةَ سَوقًا وسِياقًا واستاقَ استياقًا: حثَّها على السير مِن خَلْفٍ (الأقرب). وساق الحديث: سرَده (المنجد).

التفسير:

يسمى أمير الجيش في اللغة العربية قائدًا، لأنه يقودهم أي يمشي أمامهم. ولكن في الغرب يكون أمير الجيش في الوراء عادة، فهو إذًا سائق لا قائد بحسب اللغة العربية، لأن السائق هو من يمشي في الوراء مثل سائق الإبل الذي يسوقها من وراءها، أو سائق المجرمين الذي يحثهم من ورائهم على المشي إلى الأمام لعدم رغبتهم في ذلك. والدابة تريد أن تذهب حيثما تشاء، بينما يريد صاحبها أن يأخذها للعمل أو للسقي، لذا فهي لا تمشي برغبتها وإنما برغبة صاحبها. وكذلك المجرمون لا يودّون أن يُعرضوا على الحاكم فلذا يكون لهم سائق يسوقهم إليه. فالسوق يُستعمل للدواب كالإبل وغيرها، وأيضًا للمجرمين. كما يُستخدم للضعفاء أيضًا حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم أنه إذا نزل الأمر بالقتال رأيتَ فئة من المؤمنين ﴿كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾(الأنفال: ٧). ذلك لأنهم يفكرون في أنفسهم مرارًا بأنهم كانوا يؤمرون بأن يرحموا الناس، ويعاملوا كل واحد بالمحبة والرفق واللطف والإحسان، فكيف يأمرهم الله الآن بحرب الناس! فبما أنهم يرون هذا الحكم خلافًا لما أمروا به من قبل، فيشق على أنفسهم. فليس المراد من هذه الآية أنهم أرادوا أن يخالفوا عن أمر الله تعالى، وإنما المعنى أنهم استغربوا من هذا الأمر إذ لم يكن العمل به بالأمر السهل لهم، حيث كان عليهم أن يحاربوا إخوانهم وأقاربهم، وهو أمر يشق

وهنا ينشأ السؤال بأن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ «السوق» للمجرمين والضعفاء فقط، بل للمؤمنين أيضًا. قال الله تعالى ﴿وسيقَ الذين اتّقَوا ربَّهم إلى الجنة زُمَرًا﴾(الزمر: ٧٤)، فما معنى هذه الآية إذا كان السوق هو الحث والدفع من الوراء؟

على المرء بطبيعة الحال. ولكن العمل بالأمر نفسه هو الذي جعلهم يفوزون برضوان الله تعالى، فسيقوا إلى الجنة.

وهنا ينشأ السؤال بأن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ «السوق» للمجرمين والضعفاء فقط، بل للمؤمنين أيضًا. قال الله تعالى ﴿وسيقَ الذين اتّقَوا ربَّهم إلى الجنة زُمَرًا﴾(الزمر: ٧٤)، فما معنى هذه الآية إذا كان السوق هو الحث والدفع من الوراء؟

أما المفسرون فقالوا في الجواب: ورد السوق للكفار بمعنى حثهم ودفعهم من ورائهم، بينما ورد للمؤمنين بمعنى سوق ركابهم.. أي أن الله تعالى سيكون في انتظارهم، فتسوق الملائكة ركابهم سوقًا حتى يصلوا إلى الله تعالى بأسرع ما يمكن (الرازي).

بيد أن هناك إجابتين أخريين عندي. الأولى أن الله تعالى قال عن الكافرين قبل هذه الآية مباشرة ﴿وسيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَرًا﴾(الزمر: ٧٢).. فاستعمل للمؤمنين أيضًا نفس الفعل على سبيل المجاورة فحسب. فسوق المؤمنين إنما يعني هنا الذهاب بهم من دون أدنى دفع لهم من الوراء أو الأمام أو من دون أية إشارة على إهانتهم.

والإجابة الثانية هي أن هذه الكلمة تصوير لما سيكون عليه الكافرون يوم القيامة ولما كان عليه المؤمنون في الدنيا. فالكافر يفر من العذاب، وأما المؤمن فيهرب من التنعم والرخاء، فإنه لا يريد إلا لقاء الله تعالى. فإذا كان الكافر يفر من المشقة والعناء، فإن المؤمن يعاف عيشة الترف والرخاء، ولكن الله تعالى يمنحه النعم والرخاء رغم أنفه. وهذا كما قال حضرة سيد عبد القادر الجيلاني- رحمة الله عليه- إني لا آكل الشهي من الطعام ولا ألبس الغالي من الثياب ما لم يرغمني الله على ذلك مستحلفًا بذاته ﷻ (قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ص ٣٦).

إذًا فكلمة السوق تصوير لباطن المؤمن، ولا تعني أبدًا بأنه سيُدفع إلى الجنة فعلاً.

وكما قلت إن السائق يقابله القائد. ولفظ القائد ينطوي على ثلاث دلالات: شجاعة القائد، وبشاشة جنوده، وحثّه الآخرين على العمل من خلال نموذجه الحسن. والحق أن القائد الناجح إنما هو ذلك الذي يتحلى بهذه المزايا الثلاث. أي أنه ببسالته ونموذجه الحسن يرفع معنويات جنوده ويذكي فيهم الحماس للإقدام والتضحية بكل غال ورخيص، كما يجد بنفسه البشاشة واللذة في الموت في سبيل الله تعالى؛ ذلك لأن القائد يجري أمام الجيش للقاء العدو بينما يأتي جنوده وراءه. كما أن القائد الناجح من يجد جنوده أيضًا البشاشة في القتال، حيث إن كلمة القائد نفسها تتضمن الدلالة على أنه ليس بحاجة إلى النظر إلى الوراء، فجنوده يشعرون بمسؤوليتهم تمامًا، وسيلحقونه بكل بشاشة من تلقاء أنفسهم.

لقد ذُكر في تاريخ أمريكا حادث رائع يبين كيف أن القائد الناجح يفتح بأسوته ونموذجه قلوب جنوده وزملائه. كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحت حكم الإنجليز في أول الأمر. ثم بعد أن ظلوا مستعمَرين فترة طويلة نشأت بينهم حركة تحرُّر، ولكن لم يكن عندهم جنود ولا عتاد كاف لمقاومة المستعمِرين الإنجليز الذين كان عندهم الجنود وكانوا يملكون العتاد بكل أنواعه. فتطوع الفلاحون والعمال الأمريكان لقتال المستعمرين، واندلعت نيران الثورة في كل أنحاء البلد. ولما تقوت حركة

التحرير اختاروا لهم قائدًا اسمه واشنطون، وهو الذي أُنشئت باسمه مدينة واشنطون فيما بعد. لقد كان رجلاً عاديًا، ولم يكن ذا خبرة كبيرة في فنون الحرب والقتال، ولكنه كان قلبه مفعمًا بالإخلاص والحماس لبلده وشعبه. فكان يتجول في البلد كله، يلقي الخطب ويلهب الحماس في القوم للجد والاجتهاد من أجل الحرية لأنها نعمة عظمى. فذات مرة رأى أثناء بعض جولاته أن الثوار يبنون قلعة وأن أحد مساعديه الذي اسمه كاربول يشرف عليهم واقفًا بجنبهم. وكان العاملون أربعة أو خمسة فقط من الجنود الثوار، وكانوا يحاولون رفع أعمدة خشبية ضخمة، ولكنهم كانوا يفشلون في ذلك رغم بذلهم الجهد الجهيد. وكان كاربول هذا واقفًا بجنبهم يحثهم بأعلى صوته على رفع الأعمدة، بدون أن يتقدم ويساعدهم في رفعها. وكان واشنطون يمر بهم على صهوة حصان أبيض، فلما رأى هذا المشهد أوقف حصانه، وسأل القوم عما يفعلون. فقالوا إن الجنود الإنجليز قادمون، فنحن نبني القلعة لحماية جنودنا. فقال فما المشكلة في بناء القلعة إذًا؟ قالوا إن الأعمدة ثقيلة جدًّا ولا نقدر على رفعها. فتوجه واشنطون إلى كاربول وقال: لم لا تساعدهم؟ قال إنما أنا مسؤول كبير، وليس علي إلا الإشراف على عملهم. فنزل واشنطون من توّه من فرسه، وأخذ يساعد الجنود في رفع الأعمدة حتى رفعوها. فلما أراد الانصراف وهمّ أن يركب حصانه قال له كاربول: أريد أن أشكرك يا سيدي، من قِبلي ونيابةً عن قومي. فأجابه واشنطون: العفو، يا سيدي. كل ما أريد منك أنك إذا كنتَ في مشكلة كهذه واحتجت إلى المساعدة فعليك أن تدعو قائدك الأعلى واشنطون!

هذه هي أسوة القائد. إنه يقدم نفسه لكل عمل وخدمة، ولا يتخلف عند التضحية عن أحد، بل يتصدر الآخرين، ويحثهم على العمل بنموذجه الحسن. وإذا لم ينتفع الناس من نموذج القائد الرائع فلا شك أن حظهم تعس جدًّا.

ولقد سميتُ المسؤولَ الأعلى في تنظيم «خدام الأحمدية» في كل فرع من جماعتنا «القائدَ» لكي يفتح قلوب الناس بنموذجه الطيب.

أما كلمة ﴿وِردًا﴾ في قوله تعالى ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردًا﴾ فمن معانيها: الإشرافُ على الماء؛ والعطَشُ؛ والنصيب من الماء؛ الماءُ الذي يُورَد؛ والقوم الذين يردون الماءَ (الأقرب).

لقد بين الله تعالى في هذه الآية أن الكافرين يُحشَرون حشرًا جماعيًّا أيضًا، ولكن سيخاف بعضهم من الاقتراب من البعض الآخر، فلذا يُقهرون بالضرب على التجمع، وأخيرًا يُدفعون إلى جهنم وهم بحاجة إلى أن يؤخذوا إلى حيث يزال عطشهم. وهذا بيان لشدة عذابهم بمعنى أنهم سيكونون بحاجة شديدة لأن يجدوا مكانًا يجدون فيه الماء والراحة، ومع ذلك سيُدعّون إلى جهنم دعًّا، وهي مكان يبلغ من الهول والذعر والعذاب بحيث يكرهون التوجه إليها.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٨٨)

شرح الكلمات:

الشفاعة: الشفعُ: ضمُّ الشيء إلى مثله؛ وقيل: الشفعُ: المخلوقاتُ من حيث إنها مركَّبات كما قال ﴿ومِن كل شيء خلَقْنا زوجين﴾ (الأقرب).

وورد في المفردات: الشفاعة الانضمامُ إلى آخَرَ ناصرًا له وسائلاً عنه، وأكثرُ ما يُستعمل في انضمام مَن هو أعلى حرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى؛ ومنه الشفاعةُ في القيامة قال تعالى ﴿لا يملِكون الشفاعةَ إلا مَن اتّخذَ عند الرحمن عهدًا﴾، وقال تعالى ﴿ولا يشفَعون إلا لمن ارتضى﴾ وقال تعالى ﴿ما مِن شفيع إلا مِن بعد إذنه﴾.

التفسير:

إذا أخذنا مفهوم الشفاعة المذكور أعلاه فإن مسألة الشفاعة تنحلّ تمامًا. هناك فكرة شائعة بين المسلمين بشكل عام أن كل مسلم ينطق بالشهادة سيشفع له النبي ﷺ يوم القيامة، بل يقولون بكل فخر أن الشفاعة ليست إلا من أجل العصاة

... إذ تعني الشفاعة أن الذين يسعون جاهدين ليكونوا أشباهًا للنبي ﷺ ومع ذلك يظل بعض الفراغ في كمالهم الروحاني، سيتوسل النبي ﷺ إلى الله تعالى يوم القيامة من أجلهم ويقول يا رب، لقد سعى هؤلاء أن يكونوا أشباهًا وأمثالاً لي، ولكن بقي في أعمالهم بعض النقص، فألتمس إليك أن تسد برحمتك هذا النقصان. وليست الشفاعة أنهم من ناحية يزنون ويفسدون ويقتلون، ويرفعون هتافات باطلة، ويرمون الآخرين بتهم شنيعة، ومع ذلك يقولون إن شفاعة النبي ﷺ حق الآثمين المذنبين...

والآثمين. مع أن الشفاعة لا بد لها من تشابه وتماثل بين المرء والرسول ﷺ، وإنما يستحق شفاعته ﷺ من سعى جهده لأن يكون مثله ﷺ، ولكنه لم ينجح في ذلك كما ينبغي جراء بعض تقصيراته؛ وسدًّا لهذا الفراغ سوف يتوسل النبي ﷺ إلى ربه ﷻ ويقول يا رب، قد بذل هذا قصارى جهده ليكون مثيلاً لي، ولكن بعض تقصيراته حالت دون أن يحقق هدفه تمامًا، فألتمس منك أن ترحمه، وتعفو عن تقصيره، ولا تحرمه من قربك.

فالشفاعة ليست للآثمين العصاة، بل لها قوانين وشروط. أولها أن يكون المرء مثيلاً للشافع، وإلا فلن يشفع له.

وثانيها أن يكون الله تعالى راضيًا عنه، لأنه تعالى يقول ﴿ولا يشفَعون إلا لمن ارتضى﴾(الأنبياء: ٢٩).. أي لكي يستحق المرء الشفاعة لا بد أن يكون الله تعالى راضيًا عنه.

وثالثها أن يأذن الله لشفاعته لقوله تعالى ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾(يونس: ٤).

فلو كان الإثم يجعل المرء مستحقًا للشفاعة، كما يظن عامة المسلمين، فما الحاجة لأن يضع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة: الشفاعة (أي المماثلة) والرضا والإذن. بل يجب أن يقول الله تعالى في هذه الحالة إن كل من يصبح آثمًا فإن محمدًا رسول الله ﷺ سيتولى شفاعته يوم القيامة.

الحق أن المرء لا يستحق شفاعة الرسول ﷺ أبدًا ما لم يصبح مثيلاً له. إنما مثل الشفاعة كأن تذهب إلى السوق لشراء فاكهة المانجو من نوع معين، فتذكر للبائع حاجتك. فيعطيك أجود ما عنده من حبات هذا النوع، ولكنك تريد المزيد وهي غير متوافرة لديه، فتقول له: حسنًا أعطِني من النوع الذي يشبهه جودةً، فيعطيك حبات من نوع آخر ليس مثله تمامًا ولكنه مقارب له؛ فتأخذها أيضًا. ولكنك لن تأخذ مكان المانجو حبات من نوى المانجو أو قشورًا للموز أو حذاء باليًا مثلا، إنما تأخذ المانجو من نوع مقارب وإن كانت أقل جودة وأصغر حجمًا بعض الشيء.

وبالمثل لا بد للشفاعة من نوع من المماثلة. إذ تعني الشفاعة أن الذين يسعون جاهدين ليكونوا أشباهًا للنبي ﷺ ومع ذلك يظل بعض الفراغ في كمالهم الروحاني، سيتوسل النبي ﷺ إلى الله تعالى يوم القيامة من أجلهم ويقول يا رب، لقد سعى هؤلاء أن يكونوا أشباهًا وأمثالاً لي، ولكن بقي في أعمالهم بعض النقص، فألتمس إليك أن تسد برحمتك هذا النقصان. وليست الشفاعة أنهم من ناحية يزنون ويفسدون ويقتلون، ويرفعون هتافات باطلة، ويرمون الآخرين بتهم شنيعة، ومع ذلك يقولون إن شفاعة النبي ﷺ حق الآثمين المذنبين. كلا، بل إن الذي يسعى جاهدًا لاتباع خطوات الرسول ﷺ، ويسعى كل السعي لاقتداء الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – ولكن يظل في أعماله بعض النقص، فإن الله تعالى سيكشف على النبي ﷺ جهوده ومساعيه، فيتوسل النبي ﷺ إلى الله تعالى مسترحمًا له ويقول يا رب لقد بذل عبدك هذا جهده كما ترى، ومع ذلك تخلّف، فسُدَّ له هذا الخلل بفضلك ورحمتك. وهذا ما يؤكده أهل اللغة أيضًا حيث يقولون لا بد للشفاعة من أن يكون الواحد مثل الآخر، فإنما الشفاعة هي ضم شيء أدنى إلى شيء أعلى مِثلِه. وهذه هي الحقيقة التي يبينها الله تعالى هنا بقوله ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾.

(يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

من شمائل النبي ﷺ وخصاله العظمى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ". (صحيح المسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ". (صحيح المسلم، كتاب الفضائل)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ يَقُولُون: مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلاَّ هَذِهِ اللَّبِنَة. فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةَ". (صحيح المسلم، كتاب الفضائل)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ". (جامع الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ". (صحيح المسلم، كتاب الفضائل)

هكذا تكلم المسيح الموعود

وإلهذا الكلام مجدك

ووالله هذا كُلّه مِن مُحمّد ... ويَعلم رَبي أنّه كان مُرشِدا
هدى الهَائمين إلى صراطٍ مقوَّم ... ونوّر أفكار العقُول وأيّدا
له طلعةٌ يجلُو الظلامَ شُعاعُها ... ذُكاءٌ مُنير بُرجُه كان بُرْجُدا
له دَرجات ليس فيها مُشارِكٌ ... شَفِيع يزكّينا ويدني المبَعَّدا
وما هو إلا نائبُ الله في الوَرى ... وفاق جَميعًا رحمةً وتودُّدا
تخيَّرَه الرَّحمن مِن بين خَلقه ... وأعطَاه مَا لم يُعْط أحد مِن النَّدى
وقد كان وجْه الأرض وجهًا مسوَّدا ... فصَار به نورًا مُنيرًا وأغيَدا
وأرسله البَاري بآيَاتِ فَضْلِه ... إلى حِزبِ قومٍ كان لُدًّا ومُفسِدا
ومُلْكٍ تأبَّط كلَّ شرٍّ قومُه ... وكلٌّ تلا بغيًا إذا راحَ أوْ غَدا
بِلُوبَةِ مَكةَ ذاتِ حِقْفٍ عَقَنْقَلٍ ... بلادٌ تَرى فِيها صَفيحًا مُصَمّدا
وما كان فيهَا مِن زُروع وَدوحَة ... تُرى كَالظليم ثَراه أزعَر أربَدا
تكنَّفَ عَقْوةَ دَاره ذاتَ لَيلة ... جَماعةُ قَوم كَان لُدًّا ومُفْسِدا
فأدركَهُ تأييدُ ربٍّ مُهَيمن ... ونجّاه عونُ الله مِن صُولة العِدا

(نظمها بالعربية حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، كتاب كرامات الصادقين)

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى،
مِصْدَاقُ نُبُوءَاتِ الكُتُبِ السَّابِقَة

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٦م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

هلاك زعماء الشرك، نبوءة تحققت

كنتُ قد ذكرت شيئا من استعدادات كفار مكة للحرب، وفيما يلي المزيد من التفاصيل التي بيانها كالتالي:

كان أمية بن خلف وأبو لهب، كلاهما مترددًا أثناء هذه الاستعدادات. ورد في تفصيل ذلك: كان رؤساء قريش يحثون الجميع على الاشتراك في هذه الحرب، لكن أمية بن خلف كان يتجنب الاشتراك فيها. جاء عقبة بن أبي معيط، وهو أحد رؤساء مكة، إلى أمية بمجمرة فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء. أي لست من المحاربين.

وجاء في رواية: أتاه أبو جهل فقال له: إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت من أشراف الوادي تخلفوا معك، فسِرْ يومًا أو يومين، ثم يمكنك أن تعود.

في الحقيقة كان أمية خائفا من الذهاب إلى الحرب لأن النبي ﷺ كان قد أنبأ بمقتله وهو كان يعلم بذلك. فقد

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

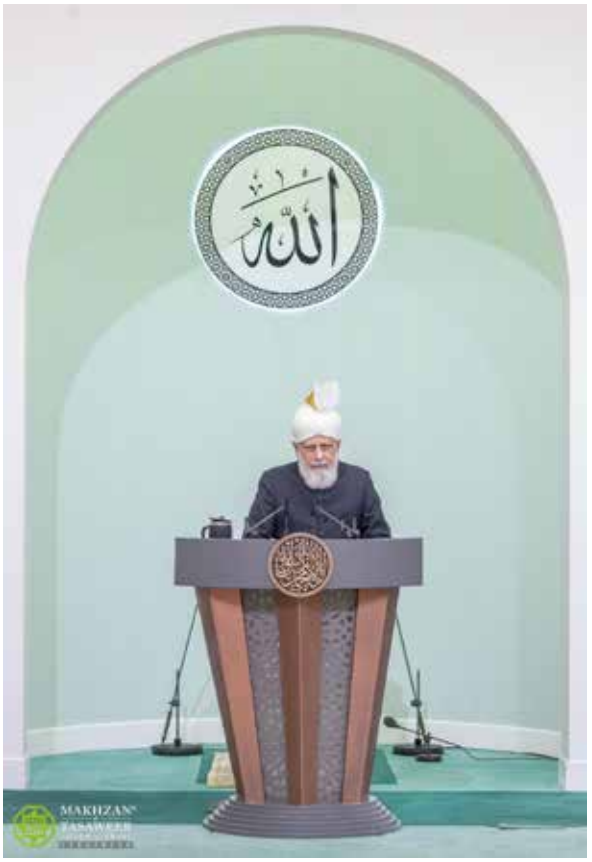

ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرا، قال: فنزل على أمية بن خلف، (لأنه كان صديقا له منذ زمن طويل) وكان أمية إذا انطلق إلى الشام، فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار، (أي تريد أن تعتمر فانتظر) وغفل الناس انطلقت فطفت، (قال ذلك بسبب معارضة المسلمين) فبينا سعد يطوف (معتمرا في الظهيرة) إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا، وقد آويتم محمدا وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، (أي هدده أبو جهل قائلا كيف تستطيع أن تطوف وأنت آويت محمدا ﷺ، فقال سعد: نعم، قد آويتُ وسأطوف أيضا، وبدأ التلاحي بينهما) فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، (كانت هي كنية أبي جهل) فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، (أي أقطع طريق التجارة إلى الشام) قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك «فإني سمعت محمدا ﷺ يزعم أنه قاتِلُك»، (أي أنبأ بقتلك) وفي رواية: إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ، أي أصحاب محمد ﷺ يقتلونك. قال: إياي؟ قال: نعم، قال: في مكة، قال: لا أدري. قال أمية: والله ما يكذب محمد (ﷺ) إذا حدث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتِلِي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، (هذه هي النبوءة التي بسببها كان أمية خائفا وما كان يريد القتال مع المسلمين) قال عبد الله بن مسعود: فلما خرجوا إلى بدر، وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: فأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله. (صحيح البخاري كتاب المناقب)

قال بعض أصحاب السِيَر في معنى قول النبي ﷺ أنه قاتِله مع أنه لم يقتله، فقالوا المراد من ذلك هو أن النبي ﷺ كان سببا في قتله، وإلا فهو ﷺ لم يباشر إلا قتل أخيه أبيّ بن خلف في أُحد. وقالوا أيضا: ومن ثم جاء في رواية –كما مر ذكره– أن النبي ﷺ قال لأمية: إن أصحابه (يعني أصحاب النبي ﷺ) قاتِلوه. بغض النظر عمن قتله فالحق أنها كانت نبوءة وتحققت.

ويحتمل أن سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعه ﷺ يقول «أنا أقتل أبيّ بن خلف» ففهم سعد رضي الله عنه أنه ﷺ يريد أمية لا أُبَيا.

(السيرة الحلبية)

كذلك كان أبو لهب أيضا خائفا من الحرب، وبعث مكانه رجلا آخر ولم يذهب بنفسه للحرب، وكان سبب تخلفه عن الحرب رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، فإنه كان يقول: رؤيا عاتكة كأخذ باليد، (أي أمر يقيني). (سبل الهدى والرشاد)

قال مرزا بشير أحمد ﷺ ما تفصيله:

كان هناك شخصان فقط رفضا الانضمام إلى هذه المعركة وهما أبو لهب وأمية بن خلف، ولكن سبب رفضهما لم يكن التعاطف مع المسلمين، بل كان أبو لهب خائفًا من رؤيا أخته عاتكة بنت عبد المطلب التي رأتها قبل مجيء ضمضم بثلاثة أيام فقط عن هلاك قريش، وكان أمية بن خلف خائفا من نبوءة النبي ﷺ بقتله التي كان قد علم بها في مكة من سعد بن معاذ. ولكن بما أنه كان هناك خوف من التأثير على عامة الكفار بسبب تخلف هذين الزعيمين، فقد حرضهما رؤساء قريش الآخرون حتى وافقا أخيراً على الخروج. أعني استعد أمية للخروج بنفسه وبعث أبو لهب مكانه شخصا آخر ببذل مال كثير. وهكذا بعد استعداد ثلاثة أيام تجهز جيش جرار مؤلف مما يزيد على ألف جندي.

وكان هذا الجيش لا يزال في مكة إذ توصل بعضُ مشايخ قريش إلى فكرة أن أهل مكة كانوا على علاقة سيئة ببني بكر فرع بني كنانة، فربما يستغلون غيابهم ويهاجمون مكة من ورائهم. ولهذا بدأ مشركو قريش يترددون، لكن سراقة بن مالك بن جعشم، رئيس بني كنانة الذي كان في مكة في ذلك الوقت، طمأنهم وقال: أضمن عدم وقوع هجوم على مكة. لقد كان سراقة يحمل ألد العداء للمسلمين لدرجة أنه ذهب إلى بدر من أجل مساعدة قريش، لكن حين رأى المسلمين هناك تملكه الخوف حتى أنه ترك أصحابه وهرب قبل المعركة....

توجه جيش قريش إلى الكعبة قبل الخروج من مكة وقاموا بالدعاء التالي: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم. بعد ذلك، انطلق من مكة في خيلاء. (سيرة خاتم النبيين ﷺ) فيبدو من هذا الموقف أنهم قد دعوا بأنفسهم لهلاكهم في البداية.

كان عدد جيش الكفار في البداية ١٣٠٠ جنديا. (الرحيق المختوم) لكن بني زهرة وبني عدي انفصلوا عن هذا الجيش في الطريق، وبهذا انخفض عدد جيش قريش إلى تسعمائة وخمسين فردًا أو ألفًا بحسب بعض الروايات. كان لديهم مائة أو ما يقرب من مائتي حصان وسبعمائة جمل وستمائة درع ومعدات حربية أخرى مثل الرماح والسيوف والرماية وما إلى ذلك بعدد كافٍ. (من سيرة ابن هشام وسيرة خاتم النبيين ﷺ)

رؤيا جهيم بن الصلت عن هلاك رؤساء قريش

أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ، فَلَمّا نَزَلُوا الْجُحْفَةَ، (وهي تبعد عن مكة ٨٢ ميلا نحو المدينة) رَأَى جُهَيْمُ بْنُ الصّلْت رُؤْيَا، فَقَالَ: إنّي رَأَيْتُ رؤيا إذْ نَظَرْتُ إلَى رَجُلٍ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ ثُمّ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَم بْنُ هِشَام (أي أبو جهل) وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَف، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ فَعَدّدَ رِجَالًا مِمّنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، ثُمّ رَأَيْتُهُ ضَرَبَ فِي لَبّةِ بَعِيرِهِ ثُمّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ فَمَا بَقِيَ خِبَاءٌ مِنْ أَخْبِيَةِ الْعَسْكَرِ إلّا أَصَابَهُ نَضْحٌ مِنْ دَمِهِ. قَالَ فَبَلّغْت أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ وَهَذَا أَيْضًا نَبِيّ آخَرُ مِنْ بَنِي الْمُطّلِبِ، سَيَعْلَمُ غَدًا مَنْ الْمَقْتُولُ إنْ نَحْنُ الْتَقَيْنَا. (سيرة ابن هشام)

باختصار، كما ذكرتُ من قبل أن أبا سفيان ذهب بطريق آخر وأرسل رسالة إلى أبي جهل بأنْ لا حاجة إلى

كان هناك شخصان فقط رفضا الانضمام إلى هذه المعركة وهما أبو لهب وأمية بن خلف، ولكن سبب رفضهما لم يكن التعاطف مع المسلمين، بل كان أبو لهب خائفًا من رؤيا أخته عاتكة بنت عبد المطلب التي رأتها قبل مجيء ضمضم بثلاثة أيام فقط عن هلاك قريش، وكان أمية بن خلف خائفا من نبوءة النبي ﷺ بقتله التي كان قد علم بها في مكة من سعد بن معاذ.

الحرب وأن الرجوع هو الخيار الصائب. وكما ذكرتُ في الخطبة الماضية أن أبا سفيان نفسه تقدم على قافلته من باب الحيطة ونزل على النبع وسأل هناك شخصا عما إذا كان رأى أحدا هنا، فأجابه ذلك الشخص بأنه لم ير شيئا غريبا، غير أنه شاهد رجلين أناخا بعيريهما قرب هذا التلّ ورجعا بعد أخذ الماء. ذهب أبو سفيان إلى حيث أشار الرجل، فرأى البعر هناك حيث برك الجملان فحمل بعرةً وفركها، فوجد فيها نواة تمر، فقال: هذا علف يثرب. فعاد إلى قافلته مسرعا وأخذ أصحابه إلى شاطئ البحر منحرفا عن الطريق العادي المعروف، وسار تاركا ميدان بدر جانبا. هذا قد بينته في الخطبة الماضية أيضا.

وَلَمّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ أَنّهُ قَدْ أَحْرَزَ عِيرَهُ أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ: إِنّكُمْ إِنّمَا خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ وَرِجَالَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فَقَدْ نَجّاهَا اللهُ فَارْجِعُوا، فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتّى نَرِدَ بَدْرًا –وَكَانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ، يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهِ سُوقٌ كُلّ عَامٍ– فَنُقِيمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَنَنْحَرُ الْجُزُرَ وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَنُسْقِيَ الْخُمُورَ، وَتَعْزِفَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا بَعْدَهَا، فَامْضُوا. (السيرة النبوية لابن هشام) (إذن فقد أصر أبو جهل على الخروج بجيش قريش على أية حال، فقط بغية أن يلقي الرعب في قلوب المسلمين)

كان مع قريش بنو زهرة، وهؤلاء ورد عنهم أنهم قرروا الرجوع. ولما سمع الأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ رسالة أبي سفيان، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ قال: يَا بَنِي زُهْرَةَ، قَدْ نَجّى اللهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَخَلّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَإِنّمَا نَفَرْتُمْ لِتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ، فَاجْعَلُوا بِي جبنها وَارْجِعُوا، فَإِنّهُ لا حَاجَةَ بِكُمْ فِي أَنْ تَخْرُجُوا فِي غَيْرِ ضَيْعَةٍ، لا مَا يَقُولُ هَذَا –يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ– فَرَجَعُوا، فَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيٌّ وَاحِدٌ، وكذلك لم يخرج أحد من بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ، إلا أن جيش قريش مضى قدما.

وكان في الجيش طَالِب بْن أَبِي طَالِب فدار بينه وَبَيْنَ بَعْضِ قُرَيْشٍ حوار، فَقَالُوا: وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا يَا بَنِي هَاشِمٍ –وَإِنْ خَرَجْتُمْ مَعَنَا– أَنّ هَوَاكُمْ مَعَ مُحَمّدٍ فَرَجَعَ طَالِبٌ إِلَى مَكّةَ فِيمَنْ رَجَعَ. (تاريخ الطبري)

وفي رواية أن طالب بن أبي طالب كان خرج مع المشركين على مضض ولكن لم يعثر عليه في الأسرى ولا في القتلى كما لم يرجع إلى بيته.

وَمَضَتْ قُرَيْشٌ الذين كان عددهم قد انخفض من ١٣٠٠ إلى ١٠٠٠ جندي تقريبا قد واصلوا مسيرهم حَتّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي.

المسلمون يَنْفِرُون

ورد عن خروج النبي ﷺ من المدينة وعِدَّة جيش المسلمين أن رسول الله ﷺ غادر المدينة المنورة يوم السبت ١٢

رمضان ٢ هـ. كان معه أكثر من ثلاثمائة شخص. منهم ٧٤ من المهاجرين والباقي من الأنصار. كانت هذه هي المعركة الأولى التي انضم إليها الأنصار أيضًا، وأمر رسول الله ﷺ حضرة عثمان بن عفان بالبقاء في المدينة المنورة لأن زوجته حضرة رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة. ورد في رواية أن عثمان رضي الله عنه نفسه كان مريضا ولكن القول الأشهر هو أن زوجته كانت مريضة. وفي معظم الروايات ورد أن عدد المسلمين ٣١٣.

روى البخاري في صحيحه عن الْبَرَاءَ بن عازب رضي الله عنه قوله: حَدَّثَنِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. قَالَ الْبَرَاءُ لَا وَاللهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلَّا مُؤْمِنٌ. (صحيح البخاري)

وفي رواية عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. (صحيح البخاري)

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه عن عدد المسلمين في معركة بدر: نرى أن الصحابة خرجوا بعدد ثلاثمائة وثلاثةَ عشرَ لمعركة بدر، فلو خرجوا بعدد ستمائة أو سبعمائة بدلا من ثلاثمائة وثلاثة عشر وانضم إليهم الصحابةُ الذين بقوا في المدينة لسهل عليهم القتال. كان الله تعالى قد نبَّأ سيدنا محمدا رسول الله ﷺ عن هذه المعركة ونهاه عن الإفصاح عن ذلك لأحد، وذلك لأن الله تعالى كان في مشيئته تصديق بعض النبوءات في الصحف السابقة. فمثلا كان عدد الصحابة ثلاثمائة وثلاثة عشر وكانت هناك نبوءة في الكتاب المقدس أن ما تعرَّض له النبي جدعون سيتعرض له محمدٌ رسول الله ﷺ وصحابتُه أيضا، وكان عدد أصحاب جدعون حين قاتل عدوه ثلاثمائة وثلاثة عشر، فلو علِم الصحابة أنهم يخرجون من المدينة من أجل القتال، لخرجوا كلُّهم ولزاد عددهم على ثلاثمائة وثلاثة عشر. فمن أجل هذه الحكمة أخفى الله تعالى هذا الأمر، لئلا يفوق عدد الصحابة في هذه المعركة على ثلاثمائة وثلاثة عشر، لأن النبوءة كانت ستتحقق بعدد ثلاثمائة وثلاثة عشر فقط، لذا كان من الضروري إخفاء خبر الحرب، وعند الوصول إلى ميدان القتال أُخبرَ الصحابة أنهم سيواجهون جيش قريش.

كانت هناك سيدة اسمها أم ورقة بنت نوفل، فعن شوقها

وقد ورد أن النبي ﷺ دعا للصحابة عند الانطلاق من مكان أثناء السفر: اللهم إنهم حفاة فاحملْهم اللهم إنهم عراة فاكسُهم، اللهم إنهم جياع فأشبِعْهم، وهم عالة فأغنِهم بفضلك فتُقُبِّل هذا الدعاء فانقلبوا حين انقلبوا من بدر وما منهم رجل إلا وقد رجع بجَمل أو جملين واكتسوا ونالوا أزوادا لم تبق لهم بوجودها حاجة إلى الأكل والشرب، ووجدوا فداء الأسرى كثيرا بحيث اغتنت كل أسرة.

في الجهاد ذُكر أنه حين خرج النبي ﷺ إلى بدر قالت له يا رسول الله ائذن لي بالغزو معك أمرّض مرضاكم، لعل الله يرزقني الشهادة، فقال لها: قرّي في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة. وكانت هذه الصحابية قد قرأت القرآن، فكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة. فكان المسلمون يدعونها هي بالشهيدة حصرا. فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية فغمياها بقطيفة حتى لفظت أنفاسها، وكانت قد أوصت بعتقهما بعد موتها، فجيء بهما إلى سيدنا عمر، فأمر بصلبهما، وقال: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول «انطلقوا بنا نزور الشهيدة» وكان النبي ﷺ في زيارته لها يصطحب سيدَنا عمر وغيره.

ما ورد في خبر عتاد جيش المسلمين

لقد ورد تفصيل قوة الجيش الإسلامي في رواية أن في هذه المعركة كان لدى المسلمين خمسة أحصنة، وعند البعض كان حصانان فقط، أحدهما لسيدنا المقداد والثاني لسيدنا الزبير. وعن علي ﷺ أن في بدر لم يكن في الجيش الإسلامي فارس سوى المقداد، وأكبر عدد نجده للخيول في الروايات هو خمسة، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيرا. فكانا إذا كانت عقبة النبي ﷺ قالا له: اركب حتى نمشي معك، فيقول «ما أنتما بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما». فأنا الآخر أحتاج إلى الأجر والثواب على هذه المعركة.

دعاء النبي للصحابة يُستجاب ببدر

وقد ورد أن النبي ﷺ دعا للصحابة عند الانطلاق من مكان أثناء السفر: اللهم إنهم حفاة فاحملْهم اللهم إنهم عراة فاكسُهم، اللهم إنهم جياع فأشبِعْهم، وهم عالة فأغنِهم بفضلك فتُقُبِّل هذا الدعاء فانقلبوا حين انقلبوا من بدر وما منهم رجل إلا وقد رجع بجَمل أو جملين واكتسوا ونالوا أزوادا لم تبق لهم بوجودها حاجة إلى الأكل والشرب، ووجدوا فداء الأسرى كثيرا بحيث اغتنت كل أسرة.

بعض الناس بقوا في المدينة وبعض المجاهدين كانوا أصغر سنًّا فأمرهم النبي بالعودة، فعن ذلك ورد أن الأمر بالخروج إلى بدر كان عامًّا لكنه لم تتهيأ فرصة كافية للاستعداد، فقد ورد في رواية أن بعض الصحابة قالوا للنبي ﷺ أن لهم مطايا على مقربة من المدينة، واستأذنوه في أن يأخذوها فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، فتُركوا أو خرجوا دون الركوب. (صحيح أن الأمر كان عامًّا كما ورد، ومع ذلك كانت هناك قيود، كما لم يسمح النبي ﷺ لأحد بالاستعداد حتى لا يستعد الكثيرون). باختصار، كان هناك بعض

المخلصين سمح لهم بالقعود لعذر كما سبق ذكرُ سيدنا عثمان، وكذلك كانت أم أبي أمامة بن ثعلبة مريضة، لكنه أراد الخروج فأمره النبي ﷺ بأن يبقى مع أمه المريضة، فلما عاد النبي ﷺ كانت قد توفيت، فتوجه إلى قبرها فدعا لها، وسيدنا سعد بن عبادة الذي كان يحرض الناس على الخروج بشوق كبير قد لدغته حية فبقي في المدينة. وكذلك توقف النبي ﷺ في الطريق وأَمر المجاهدين الأصغر سنًّا بالعودة. كان منهم سيدنا عمير بن أبي وقاص، حين سمع عن إعادة الأولاد بكى فأجازه النبي ﷺ بالبقاء مع الجيش فاشترك في المعركة واستُشهد، والمجاهدون الصغار الذين أعيدوا هم أسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: في العصر الراهن يبحث الناس عن الأعذار لتجنب التضحية في سبيل الإسلام والإيمان، وعندما يُدعَون يتذرعون بمعوقات وأعذار، لكن في زمن النبي ﷺ كانت قوته القدسية قد ولدت في الصحابة الشوق العارم للتضحية، حتى إننا فضلا عن البالغين ذكورا وإناثا نجد الأولاد أيضا متمتعين بهذا الحماس. ففي معركة بدر حين دعا النبي ﷺ الصحابة ليختار منهم من يصلح للمعركة، نجد رواية الصحابة عن صبي كما قال عن نفسه هو أيضا أنه حين قام الصحابة قام معهم بُغية أن تسنح له الفرصة للتضحية بحياته من أجل الإسلام. فلما كان يخشى ألا يُرى لكونه قصيرا فلا يقع عليه الاختيار فشبَّ على أصابع قدميه ورفع عقبيه ليُرى وأبرز صدره لئلا يُعدَّ من الضعفاء، فأمر النبي ﷺ بأن يُستثنى كل من دون الخمس عشرة سنة، وحين وصل ﷺ إلى هذا الصبي سأل عمن أقامه، وأمر باستبعاده. فلو حدث ذلك اليوم فربما رقص الولد فرحا أنه نجا، لكن حين استُبعِد ذلك الولد أجهش بالبكاء حتى عطف عليه النبي ﷺ وسمح بضمه إلى الجيش.

لقد ورد عمن عيَّنه النبي ﷺ أميرا على المدينة عند خروجه إلى بدر أنه ﷺ أمَّر على المدينة سيدَنا عبد الله ابن أم مكتوم، لكنه لما وصل إلى الروحاء وهي على بُعد ستة

وثلاثين ميلا من المدينة فربما خطر بباله أن عبد الله كفيف البصر ومجيء جيش قريش يقتضي أن يكون النظام في المدينة قويا لذا قد استعمل أبا لبابة بن المنذر واليا على المدينة وردَّه من المحل المذكور وأمر بأن يكون ابن أم مكتوم إمامَ الصلاة فقط، ويتولى الأمور الإدارية أبو لبابة. كما عيَّن سيدنا عاصم بن عدي على ضواحي المدينة أي قباء أميرا منفصلا.

لقد ورد عن لواء جيش الإسلام: دفع ﷺ اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير، وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويقال لها العقاب، وكانت من مرط لعائشة.

وفي رواية أنه كانت عند جيش الإسلام ثلاث ألوية. لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ.

وكان مصعب بن عمير يحمل راية المهاجرين، وكانت راية المهاجرين بيد حباب بن منذر وراية قبيلة أوس بيد سعد بن معاذ. خرج خوات بن جبير مع رسول الله ﷺ، فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر ودميت رجله واعتلت فرجع، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه. وأهل الأخبار يقولون إنه شهد بدرا. ولكن الرواية الصحيحة تقول بعودته إلى المدينة.

لقد ورد بشأن عدم الاستعانة بالمشركين:

كان خُبيب بن يساف ذا بأس ونجدة ولم يكن أسلم، ولكنه خرج لنجدة قومه من الخزرج طالبا للغنيمة، ففرح المسلمون بخروجه معهم، فقال له رسول الله ﷺ:لا يصحبنا إلا من كان على ديننا. وفي رواية: ارجع فإنا لا نستعين بمشرك. تكررت من حبيب المراجعة لرسول الله ﷺ. وفي الثالثة قال له: تؤمن بالله ورسوله؟ قال نعم، فأسلم وقاتل قتالا شديدا.

وقد ذُكر صيد سعد بن وقاص الظبيَ: قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص وهم بتربان: يا سعد انظر إلى الظبي ففوق له بسهم، وقام رسول الله ﷺ فوضع ذقنه بين منكبي سعد وأذنيه، ثم قال: ارم، اللهم سدد رميته، فما أخطأ سهم سعد عن نحر الظبي، فتبسم رسول الله ﷺ، وخرج سعد يعدو فأخذه وبه رمق، فذكاه وحمله، فأمر به رسول الله ﷺ، فقسم بين أصحابه.

واصل النبي ﷺ الزحف حتى وصل إلى الصفراء (وهو واد خضرٌ جدا فيه النخيل، ويقع على بُعد منزل من ميدان بدر) أرسل ﷺ رجلين يَتَحَسّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ. ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حتى أتى عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَفِرَانَ، فَجَزَعَ فِيهِ ثُمّ نَزَلَ. وصل الرجلان اللذان أرسلهما النبي ﷺ للتجسس على أبي سفيان إلى بدر. فَأَنَاخَا إلَى تَلّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ثُمّ أَخَذَا شَنّا لَهُمَا يَسْتَقِيَانِ، فسمع جَارِيَتَيْنِ مِنْ جوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا يَتَلَازَمَانِ عَلَى الْمَاءِ وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِصَاحِبَتِهَا: إنّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ ثُمّ أَقْضِيك الّذِي لَك. قَالَ الرجلُ: صَدَقْتِ ثُمّ خَلّصَ بَيْنَهُمَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ الرجلانِ فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا، ثُمّ انْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا فأخذ الحذر أكثر من ذي قبل. وسوف يأتي تفصيل ذلك لاحقا بإذن الله.

الصلاة على النبي ﷺ معناها ومبناها

سوريا

مراد الله إدلبي

من أكثر العبارات المأثورة دورانًا على ألسنة المسلمين عبارة الصلاة على النبي، والتي وردت بصيغ شتى، إنفاذًا للأمر الإلهي الوارد في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] إن هذه الآية الكريمة من أكثر الآيات حضورًا في وجدان المسلمين؛ إذ يتردد صداها على المآذن، وفي الخطب والمساجد والصلوات والأذكار. لكن السؤال العميق هو: ما معنى أن الله وملائكته يصلّون على النبي؟ وما معنى أن يُؤمر المؤمنون بالصلاة عليه والتسليم له؟ وهل الصلاة على النبي ﷺ مجرد عبارة تُقال باللسان، مثل: «اللهم صلِّ على محمد»، أم أنها تحمل معنى أعمق من الدعاء والذكر اللفظي؟! من هنا يبرز سؤالٌ مهم مفاده «هل يمكن أن نستدل على معنى الصلاة على النبي من القرآن نفسه؟».

المقصود بصلاة الله على أحد من خلقه

ورد الأمر الإلهي بالصلاة على النبي في آية (الأحزاب ٥٧)، ونلاحظ أنه قبل أن يأمر الله المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ في سورة الأحزاب، يقول في السورة نفسها: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا.﴾[2].. وهذه الآية شديدة الأهمية في فهم معنى الصلاة على أحد من الخلق لأنها لا تذكر الصلاة مجردة، بل تذكر غايتها وأثرها مباشرة، ألا وهي الإخراج من الظلمات إلى النور؛ فصلاة الله وملائكته على المؤمنين في هذا المقام ليست بالمعنى اللفظي الضيق، بل رحمة إلهية فاعلة، غايتها إخراجهم من الظلمات إلى النور. ولهذا خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿...وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

وهل الصلاة على النبي ﷺ مجرد عبارة تُقال باللسان، مثل: «اللهم صلِّ على محمد»، أم أنها تحمل معنى أعمق من الدعاء والذكر اللفظي؟! من هنا يبرز سؤالٌ مهم مفاده «هل يمكن أن نستدل على معنى الصلاة على النبي من القرآن نفسه؟».

رَحِيمًا﴾، لتدلّ على أن هذه الصلاة توجّه إلهي رحيم يفتح للمؤمنين طريق النور، وينقلهم من ظلمات الجهل والغفلة والضلال والخوف والاضطراب إلى نور الهداية والطمأنينة والبصيرة.

أما صلاة الملائكة على المؤمنين، فهي امتداد لهذا الفيض الإلهي من جهة التأييد والمؤازرة؛ إذ يقفون مع المؤمنين في طريقهم إلى الله. فإذا كانت صلاة الله عليهم فعلَ هدايةٍ ورحمة، فإن صلاة الملائكة عليهم تأييدٌ ودعمٌ يجريان في سياق هذه الرحمة.

إذن، فالصلاة على المؤمنين في القرآن مرتبطة بالرحمة والهداية والإخراج من الظلمات إلى النور؛ وهذه القاعدة هي الأساس الذي ننطلق منه لفهم الصلاة على النبي ﷺ.

كيف يخرج الله الناس من الظلمات إلى النور؟

لكي نفهم أكثر معنى قوله: ﴿...لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..﴾، ينبغي أن نجمع الآيات التي تكررت فيها هذه الصيغة. فالقرآن يشرح لنا وسائل هذا الإخراج، ومن خلالها يتضح أن الخروج من الظلمات إلى النور ليس حالة عابرة غامضة، بل عملية هداية متكاملة.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾[٣]، فهنا يرتبط الإخراج من الظلمات إلى النور بولاية الله للمؤمنين. فالله هو وليُّهم، ومن آثار ولايته أنه لا يتركهم في الظلمة، بل يتولاهم بالهداية، ويفتح لهم الطريق، ويقودهم إلى النور. ومن خلال هذا السياق، يمكن أن نفهم قوله تعالى: ﴿...هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ...﴾ على أنه إشارة إلى ولاية الله للمؤمنين، بما تحمله من هداية ورحمة ورشاد.

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.﴾[٤]، فهنا نجد وسيلة واضحة وهي ﴿...نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ...!!! ثم يأتي قوله: ﴿...يَهْدِي بِهِ اللَّهُ...﴾ أي أن الله يهدي بهذا النور والكتاب من اتبع رضوانه، فيخرجه من الظلمات إلى النور ويهديه إلى صراط مستقيم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [٥]

أي إن إنزال الآيات البيّنات هو عناية إلهية هادية، فالله لا يترك المؤمنين في غموض الطريق، بل ينزّل لهم من آياته ما يبيّن الحق، ويوقظ البصيرة، ويقودهم إلى النور.

وقال تعالى: ﴿...رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾[٦]

وهنا يكتمل المعنى؛ فالآية تجمع عناصر الهداية في صورة واحدة: رسولٌ يتلو، وآياتٌ بيّنات تكشف معالم الطريق، ومؤمنون يتلقّون هذا النور بالإيمان والعمل الصالح، فتكون النتيجة هي الخروج من الظلمات إلى النور. ومن خلال هذه الآيات تتضح منظومة الهداية المتكاملة: فالله هو الولي والهادي، والكتاب هو النور والوحي، والآيات هي البيان، والرسول هو المبلّغ والمبيّن والسراج، والإيمان والعمل الصالح يهيّئان القلب لتلقّي النور والانتفاع به. وبذلك ينتقل الإنسان من الظلمات إلى النور.

وهذا كله يعيدنا إلى آية (الأحزاب ٤٤)، حيث يقول سبحانه

وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

فصلاة الله على المؤمنين ليست منفصلة عن الكتاب، ولا عن الوحي، ولا عن الآيات، ولا عن الرسول، ولا عن الهداية؛ بل هي عنايةٌ إلهية هادية تعمل من خلال هذه الوسائل جميعًا: يرسل الله بها النور، وينزّل الآيات، ويسخّر الملائكة، ويجعل الرسول مبلّغًا ومبيّنًا وسراجًا منيرًا، حتى ينتقل المؤمن من ظلمات الجهل والغفلة والضلال إلى نور الهداية والبصيرة والطمأنينة.

الحكمة من صلاتنا على النبي

إذا كانت الآيات السابقة قد بيّنت أن الله يخرج الناس من الظلمات إلى النور بالكتاب والآيات والهداية، فإن الرسول هو الواسطة الحيّة التي يتجلّى بها النور الإلهي للناس، تبليغًا وبيانًا وتعليمًا وهداية، وهو السراج المنير الذي أنار الله به سبيل الخروج من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٧)

وهذا الوصف بالغ الأهمية؛ فقد جعل الله النبيَّ ﷺ مصدرًا للنور الإلهي في العالم، وأقامه سراجًا منيرًا، فظهر به طريق الحق الهداية، وانفتح به سبيل الرحمة. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨)

وقال تعالى أيضًا: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.﴾(٩)

وهنا يُنسب الإخراج من الظلمات إلى النور إلى الرسول؛ لا لأنه يملك الهداية استقلالًا عن الله، بل لأن الله جعله الواسطة الحيّة التي يصل بها الكتاب إلى الناس، ويتحوّل بها الوحي من نصٍّ يُتلى إلى هدايةٍ تُبيَّن وتُجسَّد وتُقاد بها القلوب. فالرسول يخرج الناس من الظلمات إلى النور بالكتاب الذي أُنزل إليه، وبالإذن الذي منحه الله له، وبالمقام الذي أقامه فيه شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا. ومن هنا، فالنبي ليس مجرد ناقل للكتاب، بل هو المعلّم والمبيّن والمزكّي؛ يتلو آياته، ويعلّم معانيه، ويكشف مقاصده، ويجسّد هدايته في واقع الناس، حتى لا يبقى الوحي كلامًا مسموعًا فحسب، بل يصير نورًا مُدركًا في العقول والقلوب، وطريقًا عمليًا للخروج من ظلمات الجهل والغفلة والضلال إلى نور الهداية والبصيرة. من هنا ندرك كيف أنَّ النبي ﷺ هو الواسطة لتجلي الأنوار الإلهية، ويذهب المسيح الموعود عليه السلام إلى هذا المعنى الدقيق في كتابه «إعجاز المسيح» حيث يقول: «فصلوا على هذا النبي المحسن الذي هو مظهر صفات الرحمن المنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان والقلب الذي لا يدري إحسانه، فلا إيمان له أو يضيع إيمانه. اللهم صلّ على هذا الرسول النبي الأُمّي الذي سقى الآخرين كما سقى الأولين، وصبغهم بصبغ نفسه وأدخلهم في المطهرين»(١٠)

الصلاة وحدها لا تكفي! ينبغي التسليم أيضا

إذا كان النبي ﷺ قد تبوّأ عند الله وفي الملأ الأعلى ذلك المقام الرفيع، فكيف لا يكون له في قلوب المؤمنين مقام التعظيم والاتباع والتسليم؟ وإذا كان الله وملائكته يخصّونه بالصلاة، فالمؤمنون أولى أن يدخلوا في هذا الفيض؛ بالدعاء له، وتعظيم مقامه، والاعتراف بفضل رسالته، والارتباط بنوره، وطلب التأييد من الله لدعوته التي جاء بها، فهم الذين بلغهم نوره، واهتدوا برسالته، وبقيت صلتهم

والله تعالى في سياق سورة الأحزاب لم يكتف بمطالبتنا بالصلاة على النبي، بل والتسليم أيضا، بمعنى الطاعة، وعدِّ توجيهاته وتعاليمه من المُسلَّمات؛ فليس المطلوب من المؤمن أن تكون علاقته بالنبي ﷺ علاقة لفظية فحسب، تقتصر على الثناء والدعاء، بل علاقة إيمان وطاعة وانقياد واتباع. وهذا مناسب جدًا للسياق، فالنبي ﷺ جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلا يكون معنى الصلاة عليه مجرد ثناء باللسان، بل أن يتصل المؤمن بالرسالة التي جاء بها، ويسلّم لها، ويقبل هداها...

به حيّة في الأرض.

والله تعالى في سياق سورة الأحزاب لم يكتف بمطالبتنا بالصلاة على النبي، بل والتسليم أيضا، بمعنى الطاعة، وعدِّ توجيهاته وتعاليمه من المُسلَّمات؛ فليس المطلوب من المؤمن أن تكون علاقته بالنبي ﷺ علاقة لفظية فحسب، تقتصر على الثناء والدعاء، بل علاقة إيمان وطاعة وانقياد واتباع. وهذا مناسب جدًا للسياق، فالنبي ﷺ جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلا يكون معنى الصلاة عليه مجرد ثناء باللسان، بل أن يتصل المؤمن بالرسالة التي جاء بها، ويسلّم لها، ويقبل هداها، وينصرها، ويمضي في طريق النور الذي دلّ عليه.

لذلك يمكن أن نفهم معنى الصلاة على النبي بأنها تتضمن الاعتراف بمقامه، والدعاء له، والارتباط به، وتأييد رسالته، وسؤال الله أن يحفظ نوره، ويديم أثر هدايته في العالمين.

ثم نفهم معنى التسليم بأنه الانقياد لما جاء به، وقبول هديه، وإزالة كل الحجب والموانع والحوائل والأهواء التي تحول دون وصول هديه إلينا، حتى تكون صلتنا به صلة اتباعٍ حيّ، لا صلة ألفاظٍ مجردة.

الصلاة على النبي ﷺ ممارسة وصل

الصلاة على النبي ﷺ هي وصل بالنبي والرسول والسراج المنير والداعي إلى الله الذي يتلو آيات الله البيّنات، والذي جعله الله السبب في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لذا كان توجيه المسيح الموعود عليه السلام المؤمنين إلى الصلاة على النبي ﷺ، فنجده عليه السلام يقول: «يجب أن تكثروا من الصلاة على الصلاة على النبي التي هي أمثَلُ وسيلة لاكتساب الاستقامة، لكن ليس كتقليد وعادة فحسب، بل يجب أن تصلوا على الرسول ﷺ نظرًا إلى حسنه وإحسانه، داعين من أجل ارتفاع مدارجه ومراتبه وانتصاره وغلبته، فستكون النتيجة أنكم تنالون ثمرة حلوة ولذيذة لاستجابة الدعاء.» (١١)

وفي موضع آخر من كتاباته وأقواله عليه السلام يذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أنه تلقّى من الله تعالى الأمر بالصلاة على النبي، وحيًا وإلهامًا، فيقول عليه السلام: «والإلهام الذي تلقيتُ بعده هو: صَلِّ على محمد وآل محمد سيد ولد آدم وخاتم النبيين»(١٢)، ثم يتابع عليه السلام شارحا مضمون هذا الإلهام المبارك، فيقول: «وفيه إشارة إلى أن كل هذه المراتب والأفضال والعنايات إنما بسببه وجزاء على حبنا له سبحان الله! ما أسمى المكانة التي يحظى بها سيد الكون عند الحضرة الأحدية وما أكثره قربا لديه الا الله، حيث إن محبه محبوبا عند الله تعالى، وإن خادمه الا الله يُصبح مخدوم العالم.» (١٣)

ما الغاية من الصلاة الإبراهيمية إذن؟

عندما سُئل النبي عن كيفية الصلاة عليه، علّمهم الصيغة المعروفة: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم...». وهذه الصيغة مهمة لأنها لا تجعل الصلاة على النبي ﷺ مجرد عاطفة فردية، بل تضعه في امتداد الرسالة الإبراهيمية وسلسلة النبوة والتوحيد. فنحن عندما نصلّي عليه بالصلاة الإبراهيمية، فإننا نجدّد انتماءنا إلى سلسلة النور الإلهي الممتدة في التاريخ؛ من ملة إبراهيم القائمة على التوحيد والتسليم، إلى رسالة محمد ﷺ التي اكتمل بها البيان وخُتمت بها الشرائع.

وإذا فكَّكْنا أجزاء الصلاة الإبراهيمية يمكن أن نفهمها كالآتي:

اللهم صلِّ على محمد، أي: يا رب، أدم عليه رحمتك ورفعتك وتأييدك وتكريمك، وزده قربًا وكرامةً وظهورًا في العالمين، واحفظ النور الذي جاء به، وأبقِ رسالته حيّةً في القلوب والأمم، هاديةً إلى صراطك، فاتحةً للناس طريق الخروج من الظلمات إلى النور.

وعلى آل محمد، أي: وأدخل أهل بيته وأتباعه الصادقين في بركة هذا النور، واجعلهم ممتدين بهدي النبي ﷺ، شاهدين على رسالته، حاملين لأثره.

كما صلّيت على إبراهيم، أي: كما جعلت إبراهيم إمامًا في التوحيد، ورفعت ذكره، وأبقيت أثره، وجعلت رسالته أصلًا ممتدًا في تاريخ الهداية.

وعلى آل إبراهيم، أي: وكما شملت ذريته وأتباعه الصادقين بامتداد هذا النور، فخرج من نسله الأنبياء، وبقيت مِلّته طريقًا للتوحيد والتسليم لله.

وبارك على محمد، أي: زد أثر رسالته امتدادًا ونماءً وخيرًا في العالمين، واجعل نوره متجددًا في القلوب والأمم، باقيًا في الهداية والعمل والرحمة.

وعلى آل محمد، أي: واجعل هذه البركة ممتدة في أهل بيته وأمته وأتباعه الصادقين؛ فيمن يحملون هديه، ويحيون سنته، ويشهدون برسالته في العالم.

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، أي: كما جعلت البركة في إبراهيم وآله بركةً باقيةً عبر الأجيال؛ في التوحيد، والنبوة، والبيت الحرام، والملة الحنيفة، وامتداد الهداية في ذريته، فاجعل لمحمد ﷺ وآله وأمته بركةً أعظم أثرًا، وأوسع امتدادًا، تحفظ بها نوره، وتديم بها رسالته، وتفتح بها للناس طريق الخروج من الظلمات إلى النور.

هل نصلي على النبي ﷺ أم نسأل الله أن يصلي عليه؟

نحن لا نقول: «أنا أصلّي على النبي» وكأنني أستطيع من ذاتي أن أزيده رفعةً أو تكريمًا، بل نقول: «اللهم صلِّ على محمد» أي إننا نردّ الأمر إلى الله؛ لأن الصلاة الحقيقية التي ترفع، وتؤيد، وتبارك، وتحفظ النور، وتُديم أثره في العالم، هي من الله وحده.

فالمؤمن حين يصلّي على النبي، يقول في الحقيقة: يا الله، أنت الذي تصلّي عليه، وأنا أطلب منك أن تزيده صلاةً ورفعةً وتكريمًا، وأن تؤيد قضيته ورسالته، وأن تحفظ النور الذي جاء به، وتبلّغه إلى العالمين، وتُبقي هدايته حيّةً في القلوب والأمم. وأطلب منك، يا رب، أن تجعل صلتي بهذا النور صلةَ إيمانٍ صادق بهذا النبي الكريم، واتباعٍ له، وتسليمٍ لما جاء به، وانتفاعٍ بهديه ورسالته.

إذن، فالصلاة على النبي ﷺ ليست فعلًا مستقلًا من العبد، بل هي دعاء إلى الله أن يُجري في العالم أثر صلاته على نبيه الكريم: تأييدًا لرسالته، وحفظًا لنوره، وإدامةً لهدايته، وإدخالًا للمؤمنين في صلته وبركته.

الهوامش:

١ – (الأحزاب ٥٧)　٢ – (الأحزاب ٤٤)　٣ – (البقرة ٢٥٨)
٤ – (المائدة ١٦-١٧)　٥ – (الحديد ١٠)　٦ – (الطَّلَاق ١٢)
٧ – (الأحزاب ٤٦-٤٧)　٨ – (الأنبياء ١٠٨)　٩ – (إبراهيم ٢)

١٠ – مرزا غلام أحمد القادياني، إعجاز المسيح، الطبعة الحديثة، ص٨

١١ – مرزا غلام أحمد القادياني، مجلة مقارنة الأديان الأردية مجلد٣، عدد ١ ص ١١٥، نقلا عن: الخزائن الدفينة، ص٣٦٣

١٢ – مرزا غلام أحمد القادياني، البراهين الأحمدية، ج٤، الحاشية رقم ٣، نقلا عن: الخزائن الدفينة، ص١٧١

١٣ – المرجع السابق

مُحمّدٌ ﷺ سَبَقَ الهُدَى

محمّد مُنير إدلبي

محمّدٌ سَبَقَ الهُدى ... وبهدْيِهِ الخَلْقُ اهْتَدى
لمّا أطلّ محمّدٌ ... خَرّ الخلائق سُجّدا
الكونُ صارَ محمّدا ... والنورُ صار مجدّدا
والذِّكرُ باتَ مُعلِّما ... في القلب مِن وَحيٍ بدا
وبِنُورِهِ قام الهُدى ... بالحبِّ يعْلُو مَسْجدا
فيه السّلامُ شريعةٌ ... طيرٌ على قلبٍ شدا
فيه الحياةُ وسِرُّها ... طَرْفٌ يُغازِلهُ المَدى
فيه الجِنانُ وعِطرُها ... عَبَقٌ إلهيُّ النّدى
ولهُ الكنوزُ وبرقُها ... صَولٌ على بَغيِ العِدا
ما صِالَ منهمْ صائلٌ ... إلّا ويسبقُهُ الردى
حفظًا لِدينِ محمّدٍ ... نفسي لهُ رَهنُ الفِدى
واللهِ إنّ محمّدًا ... حِبُّ الإلهِ المقْتَدى
وعِدَ الإلهُ بُحبِّه ... مَن جاءَ يَتبعُ أَحمدا

مُحَمدٌ ﷺ جَامِعُ كَمَالاتِ النبِيينَ
نَظْرَةٌ فِي مَعْنَى الخَاتَمِية

ورد في كتاب الله الخاتم، القرآن الكريم، الذي لا كتاب بعده قوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.﴾ [1] وكان قد غلب على ظن أكثر الناس، وقد كان منهم كاتب المقال، أن تلك الآية الكريمة لا تفيد إلا أن محمدا ﷺ هو آخر النبيين مبعثا، ولا تزيد، وظللنا على ذلك زمانا، إلى أن أراد الله أن يفتح لنا بابا هو أشرف الأبواب، باب المسيح الموعود عليه السلام، حيث تبين لنا أن الأمر لا يتوقف عند مجرد كونه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين المشرعين فلا شريعة بعد شريعة الإسلام فحسب، وآخر النبيين فلا نبي بعده ينسخ نبوته، وكتابه آخر الكتب فلا كتاب لأهل الأرض بعده، وأن الدين الذي جاء به هو آخر الأديان فقط، وإنما تجد المسيح الموعود عليه السلام يقول: «والله تعالى كشف علينا حقيقة ختم النبوة بحيث نجد من شراب المعرفة الذي سُقينا إياه لذةً لا يتصورها أحد إلا الذين سُقوا من هذا النبع» [2]

فلم يكن منتهى معنى الخاتمية متوقفاً عند معنى الآخرية كما توهم أصحاب الفكر التقليدي، الذين لم يكونوا يرون في معنى الخاتمية إلا كون الرسول محمد ﷺ آخر النبيين فحسب، إنما كان له آفاق أرحب، ومعاني أسمى، كان مفهوم الخاتمية الذي أهداه المسيح الموعود عليه السلام للعالم بالمجان هو حيازة كامل الفضائل، وبلوغ منتهى درجات السلوك إلى الله المالك، وأن كل ما كان لنبي فقد كان له على نحو أرقى، حتى أن كل نبي من أنبياء الله

مصر

حلمي مرمر

لم يكن منتهى معنى الخاتمية متوقفاً عند معنى الآخرية كما توهم أصحاب الفكر التقليدي، الذين لم يكونوا يرون في معنى الخاتمية إلا كون الرسول محمد ﷺ آخر النبيين فحسب، إنما كان له آفاق أرحب، ومعاني أسمى، كان مفهوم الخاتمية الذي أهداه المسيح الموعود عليه السلام للعالم بالمجان هو حيازة كامل الفضائل، وبلوغ منتهى درجات السلوك إلى الله المالك،

لم يكن إلا قبسا من سراج محمد ﷺ، ولم يعد مستساغا بالمرة تفرد أحد أنبياء الله بآية لم تكن لمحمد ﷺ، إنما كان له عليه الصلاة والسلام ما كان للأنبياء مجتمعين بصورة لم يكن لأي منهم. رغم علو درجاتهم. أن ينال منها كما نال محمد ﷺ، حيث يقول المسيح الموعود في موضع آخر يميط اللثام عن معنى ختم النبوة. الحق دون أدنى شك هو أنه لا أحد من الأنبياء يمكن أن يتساوى بصورة حقيقية مع النبي ﷺ في كمالاته القدسية، حتى لا مجال للملائكة أيضا للتساوي معه ﷺ ناهيك عن غيرهم» [٣]، هذا هو مفهوم ختم النبوة كما علمنا إياه المسيح الموعود عليه السلام، ولو كنا قد نلنا من العمر ما يجعلنا معمَّرين إلى آخر الدهر ما أدركْنا هذا المفهوم وما شممنا ريحه، لأنه ما كان لغير من يستنير بنور وحي الله أن يدركه

قضية التعليم

قد يظن ظانٌّ أن الله لم يُعلّم أحداً من الأنبياء الأسماء كلها إلا آدم، ولكن هذا الظن في غير محله، لأنه تعالى علم الأسماء كلها لمحمد ﷺ على وجه أسمى، لذلك قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»[٤]، فإن كان آدم لم ينل من التعليم الإلهي سوى الأسماء، إلا أن خاتم النبيين آتاه الله الجوامع من الكلم، بأسمائها وأفعالها وأحرفها ومصادرها وظواهرها وبواطنها وكل ما يكون لها

وإن كان قد أعان نبيه إدريس على التعلم والدراسة فقد تولى هو وحده تعليم نبيه محمد ﷺ إذ قال له في أولى كلمات أوحاها إليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [٥]، وإنْ وصف إدريس في القرآن الكريم أنه كان صابرا، فقد جعل نبيه محمدا ﷺ يضرب للعالمين المثل الأعلى في الصبر بما لا يبلغه إنسان، فعاش في مكة هو وأصحابه حياةً كالموت، وإن شئت فقل: إنهم ماتوا لتوهب لهم الحياة، ولم يوجّه إليهم سباً ولا شتما، ولم يُلقِ عليهم حجرا، ولم يُغْرِ أصحابه الذين كانوا يُسحَلون في شوارع مكة وجبالها وعلى رمالها المحرقة تحت شمسها المتسلطة بلا هوادة ولا هدنة، وظل ﷺ يضرب المثل الأروع في الصبر مدة حياته لم يتخلَّ عنه طرفة عين، وإن كان سبحانه قد رفع إدريس مكانا عليا، فقد تجاوزه محمد ﷺ حتى بلغ سدرة المنتهى التي لم يبلغها الروح الأمين

مواقف إبراهيمية وقعت لمحمد

وإن كان إبراهيم عليه السلام قد كسَّر أصنام قومه وأهل بيته لينجيهم من فتنة عبادتها، والتذلل لها، فقد كسر محمد ﷺ أصنام الكعبة التي كان يحج إليها ويعبدها العرب أجمعين، وإن كان قومه جمعوا له من الحطب مرة، فقد

كانت امرأة أبي لهب وهي سيدة القوم وامرأة سيد القوم (حمالة الحطب) توقد نار الفتنة له ولمتبعيه معه فلا تكاد تنطفئ إلا وتزكيها بمزيد من الحطب، ولا تفتر ولا تكل ولا تنقطع، حيث كان شريكها أبا لهب، فقد كانت تجمع الحطب لتزكي ناراً يشعلها أبو لهب، وإن كان إبراهيم قد أحيا أربعة من الطير هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، فإن محمدا ﷺ قد فارق الحياة لحظة فارقها وقد أحيا آلافا من الطير الذين غدوا معلمين للبشرية من بعده قد انطلقوا في الآفاق دون أن يدعوهم أحد يعلّمون الناس التوحيد، وليس ذلك فحسب، إنما كان كل عالم من أمته مساوياً لأحد أنبياء بني إسرائيل، وقد بلغوا حدا يفوق الإحصاء.

العفو اليوسفي أم المحمدي؟!

وإن كان يوسف قد كاد له حفنة من إخوته كيدا فأرادوا أن يقتلوه، ثم استقر به المقام في بئر ثلاثةَ أيام، ثم مكّن الله له فصار أمينا على خزائن مصر، يطعم أهلها ومن لاذ به من بعض القبائل المجاورة، فإن محمدا ﷺ قد كادت له كيداً مدينة بعدتها وعتادها وصغيرها وكبيرها، فكادوا أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، وكان خلْفهم من خلْفهم، ثم استقر به المقام هو وصاحبه ثاني اثنين إذ هما في الغار ثلاثة أيام، ثم مكّن الله له فصار أمينا على خزائن الكون يعطي من أحب ومن لم يحب من العالمين ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٦] ولم يشترط أن تكون الصدقات قاصرة فقط على من تبعه من المؤمنين، إنما لكل من كان من بني آدم، وقد أدرك ذلك عمر بن عبد العزيز بعد عقود من الزمان، فراح ـ بعدما اكتفى المسلمون ـ يزوج غير المسلمين، ويقضي ديون غير المسلمين، ويدفع الفدية عن غير المسلمين، حتى إنه أرسل من ينثر الحبوب على أعالي الجبال وفي الغابات والصحارى، حتى لا يقال جاع طير في بلاد المسلمين

محمد أحيا آلاف الأنفس، ولا زال..

وإن كان عيسى عليه السلام قد أحيا اثني عشر حواريا من الموت، فقد أحيا محمد ﷺ في حياته فقط ما يزيد على مائة وخمسين ألفا من أموات القلوب، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وقال تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.﴾[٧] وإن كان عيسى عليه السلام قد خلق من الطين كهيئة الطير، فماذا نسمي أبا بكر الذي كان مجرد تاجر مغمور في مكة؟ وماذا نسمي عمر الذي كان يرعى الإبل للقوم نظير بعض الدراهم؟ وماذا نسمي عثمان الذي كان ـ مع نقاء فطرته ـ تاجرا غارقا في بحر لُجّيّ من جمع المال واكتناز الذهب واقتناء الجواهر؟ وماذا نسمي عليا الذي بلغت مغالاةُ بعض من عشقوه أن جعلوه إلها أحيانا؟ وماذا نسمي جمعا غفيرا من الصحابة الذين لم يكن لهم نصيب من ذكر في الحياة لولا انضواؤهم تحت جناح سلطان روح محمد ﷺ الطاهرة؟ ماذا نسمي هؤلاء جميعا بعد أن كانوا ما كانوا، وصاروا إلى ما صاروا إليه؟

وإن كان عيسى عليه السلام قد أحيا اثني عشر حواريا من الموت، فقد أحيا محمد ﷺ في حياته فقط ما يزيد على مائة وخمسين ألفا من أموات القلوب، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وقال تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.﴾

وإن كان عيسى عليه السلام قد استجاب له ربه فنجاه من الصلب مرة، فإن محمدا ﷺ قد استجاب له ربه فنجاه من الصلب ألف مرة في مكة، وألاف مرات أخرى في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي حنين وفي سائر محاولات الصلب التي تعرض لها، إذ كان قومه يحاولون إثبات كذبه ولعنته، وقد أمرنا الله تعالى بالمداومة على الدعاء له بعدم تمكن أتباعه من صلبه ـ حتى بعد وفاته ـ بالمداومة على طلب الصلاة عليه من الله تعالى وجعل ذلك فرضا مفروضا في صلاتنا، فتجد كل مصلٍّ يقول في تشهده: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» بمعنى: اللهم أفشل كل محاولات أعداء محمد ﷺ في إيقاع الأذى به والنيل من شرفه وإفساد دينه وتشويه أسوته وهدم صرحه الشامخ، ولا تقطع وصلك عنه وعن أتباعه وآله المخلصين.

محمد أيضا.. شبه لهم أنه قُتل!

لقد اشتبه على الناس موت المسيح على الصليب، والتبس عليهم موت محمد في أُحد، فظنوا أن المسيح قد مات وذهبوا به إلى قبره فدفنوه، وقد أثّلجت صدور اليهود بهذا النصر الزائف، إذ برهنوا به كذب المسيح وكذب نبوته فيما بينهم، وظن مشركوا مكة وفاة محمد ﷺ في تلك الغزوة وعادوا إلى ديارهم يحتفلون بالنصر على محمد ﷺ وإفشال دعوته، ليؤكدوا للناس أنه ليس نبيا مرسلا من الله كما كان يدعي، إذ لو كان ادعاؤه بالنبوة صحيحا لكان ربه قد حفظه منهم كما كان يدندن دائما، وكأن الله تعالى قد دبر أحداث غزوة أُحد وما حدث فيها من اشتباه موت الرسول على القوم مؤمنهم ومشركهم، ليكون دليلا على ما حدث للمسيح في حادث الصلب الذي اشتبه عليهم، فيكون الحاضر دليلا على الغائب، ويكون المشهد شاهدا على الخبر، وتكون هذه كتلك، وما أشبه الليلة بالبارحة!

من أجل ذلك كان محمد خاتم النبيين، فلم تكن كل نبوة إلا جزءا من نبوته، ولم يكن حدثٌ من الأحداث التي مر بها الأنبياء إلا مر به، ولم تكن لهم فضيلة إلا بلغ الغاية القصوى فيها، ولم يكن لهم مرقىً رقوا إليه إلا رقى أرقى منه، وإن كان هو اللبنة التي لم يكن للبناء إلا أن يتم إلا بها، إلا أنه كان كل اللبنات في الحقيقة، فإن كل لبنة من لبنات الأنبياء لم تكن إلا جزءا من صرحه الشامخ ﷺ.

الهوامش:

١ – (الأحزاب: ٤١)

٢ – مرزا طاهر أحمد، المفهوم الحقيقي لخاتم النبيين

٣ – مرزا غلام أحمد القادياني، البراهين الأحمدية، جـ ١، ص ٢٦٨

٤ – صحيح مسلم ٥ – (العلق: ٢)

٦ – (التوبة: ٦٠) ٧ – (الأنفال: ٢٥)

مِنْ مُسَلْسَلُ سَرِقَةِ الأَمْجَاد..

مَنْ مُحَرِّرُ العَبِيدِ الحَقِيقِيُّ؟!

خدعونا بمقولة تأصيل الإسلام للعبودية!

ما يراه عامة الناس من الأعمال العظيمة والمشاريع الضخمة هو مظهرها الخارجي ونتائجها النهائية، وهذا هو نفس منطق استمتاعنا بمشاهدة الأعمال المسرحية العظيمة، فإننا كمتفرجين لا نطلع على ما يجري خلف الستار من استعدادات، بل لا علم لنا أصلا بما يسبق ذلك من محاولات مضنية في الكتابة والإخراج والتمرين على التمثيل، حتى إننا كثيرا ما نغفل عن اسم المؤلف منشغلين بالتصفيق للممثلين.. وهكذا فإن عامة الناس، دون أن يشعروا، كثيرا ما ينسبون الفضل إلى غير أهله. وعلى هذه الشاكلة تغنَّى الناس بالعديد من الإنجازات المحمودة في التاريخ الإنساني ناسبين الولد لغير أبيه، مُحْتَفِينَ بقاطف الثمرة دون أن يلتفتوا إلى غارس الشجرة، ويزداد هذا الخطأ قبحا حين يعلم البعض عن حقيقة صاحب الإنجاز، فلا تكون ردة فعلهم إلا التعتيم على الحقيقة، إن لم نقل طمسها وتشويها في كثير من الأحيان، كما سيبدو لاحقا عبر سطور هذا المقال، حيث تُطرَح قضية طالما طرحت مرارا من قبل، وتناولتها العديد من الأقلام، المنصفة والمغرضة على السواء، هي قضية الرق في بلاد

مصر

سامح مصطفى

إننا كثيرا ما نغفل عن اسم المؤلف منشغلين بالتصفيق للممثلين.. وهكذا فإن عامة الناس، دون أن يشعروا، كثيرا ما ينسبون الفضل إلى غير أهله. وعلى هذه الشاكلة تغنَّى الناس بالعديد من الإنجازات المحمودة في التاريخ الإنساني ناسبين الولد لغير أبيه، مُحْتَفِينَ بقاطف الثمرة دون أن يلتفتوا إلى غارس الشجرة، ويزداد هذا الخطأ قبحا حين يعلم البعض عن حقيقة صاحب الإنجاز، فلا تكون ردة فعلهم إلا التعتيم على الحقيقة،

المشرق، وحقيقة ما إذا كان للإسلام يد في تأصيل هذه الظاهرة فعلا أم لا!

الرق لغة هو الضعف وتدني الحال، والرقيق ضد الغليظ والثخين، واسترقه ضد أعتقه، والرقيق هو المملوك، ويُعبَّر بلفظ «الرقيق» عن الواحد والجمع أيضًا تذكيراً وتأنيثًا. ويُقال للذكر عبد أو فتى أو غلام، وللأنثى جارية أو أمة أو فتاة. والعتق هو إزالة العبودية أي التحرير وكذلك العتاقة.

والرق، والنخاسة، وتجارة العبيد، جميعها ألفاظ واصطلاحات تفضي إلى المعنى ذاته، ولكن أشيعها على مستوى كلا الاستعمالين، العادي والأكاديمي، هو مصطلح «الرق»، والذي عرفته المادة الأولى لاتفاقية إلغاء الرق الموقعة في جنيف يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٢٦ وبدأ إنفاذُها في ٩ مارس ١٩٢٧، إذ عرَّفَتْ الرق بأنه: «حالة أو وضع أي شخص تُمَارَسُ عليه السلطات الناجمة عن حق الملكية، كلها أو بعضها.»[١]

بحيث صيغ تعريف تجارة الرقيق تأسيسا على معنى الرق ذاته المذكور ضمن المادة الأولى لاتفاقية جنيف، لتشمل تلك التجارة جميع الأفعال التي ينطوي عليها أسر شخص ما أو احتيازه أو التخلي عنه للغير بقصد استرقاقه، وجميع الأفعال التي ينطوي عليها احتياز رقيق ما بغية بيعه أو مبادلته وجميع أفعال التخلي، بيعا أو مبادلة، عن رقيق تم احتيازه بقصد بيعه أو مبادلته، وكذلك، عموما، أي اتجار بالأرقاء أو نقل لهم .[٢]

والحديث عن الرق يتطلب نوعًا من الحياد في البحث عن مسبباته التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دون أن يُخاض غمار جدل عقيم كالذي نشهده محتدما بين طائفتين من الكُتَّاب، أولاهما تخوض الميدان متسلحة بأيديولوجية معينة وبأفكار سوداء مسبقة حول الأديان بشكل عام، وطائفة ثانية تتمثل في رجال الدين الذين يدافعون من جهتهم عما يتبعونه من أديان ومعتقدات، فمنهم من يدافع عن فكرة الرق أملا في إعادة فرضها على الواقع، ظنا منه أنها من قَبيل المعلوم من الدين بالضرورة! حتى إن من هؤلاء المشايخ من ذاع له مقطع مسجل صوتا وصورة منذ بضع سنين في إحدى حلقاته الوعظية، وكان يحث المتحلقين حوله على ما دعاه بإحياء سنة استرقاق الأسرى والسبايا،

بدعوى أنَّ هذه السنة المزعومة هي الطريق الوحيد الذي يخلصنا من الفقر! طبعا على حد زعمه هو، وهذا الزعم حسبما نرى ونعتقد منافٍ لتعاليم الدين الحقة أيما منافاة!

وإن ظاهرة الرق، ممثلة في بقاياها الباقية هنا وهناك في بلدان متفرقة من العالم، وتمارس في أغلب الأحيان خفية بعيدا عن رقابة السلطات الحكومية، أو تحايلا عليها بتسميات تجيزها بحيث لا تعارض نصا قانونيا، إن هذه الظاهرة أقل ما توصف به حاليا أنها ظاهرة غير إنسانية، وهي من بقايا الهمجية التي لم يتخلص منها الإنسان كلية، حتى من بين أكثر شعوب الأرض تقدما.. ولكن من الخطأ البيّن الزعم بأن الرق كان متفشيا فقط بين الأقوام الهمجية والشعوب غير المتحضرة، فالثابت أنه كان نمط الحياة العصري في وقته، ومن الشعوب التي حملت مشعل الحضارة العالمية في وقت من الأوقات وعُد الرق فيها طابعا عاما، المجتمع الإغريقي الذي يُعزى ما وصل إليه من رُقي عقلاني وفلسفي إلى عنصر الرقيق، الذين مثلوا دور اليد العاملة في المجتمع، بحيث تفرغ المواطنون الإغريق ولاة أمورهم لمناحي التفكير الفلسفي والخطابة والسفسطة.

ويمكن خطو خطوة أكبر بالقول بأن تاريخ الاستعباد يضرب بجذوره في عمق الزمان، والتاريخ المعروف للبشرية يشير إلى أن الرق ظاهرة ضاربة في القدم، وتاريخها هو ذاته تاريخ الاستغلال وظلم الإنسان لأخيه الإنسان. وقد نشأت ظاهرة الاستعباد تلك منذ آلاف السنين، وتحديدًا خلال فترة التحول من الصيد إلى الاعتماد على الزراعة المُنَظّمة كوسيلة لاكتساب الرزق.. حتى إن مؤرخا كبيرا بقامة وِلْ ديورانت ذهب في عمله التاريخي الموسوعي الشهير «قصة الحضارة» إلى فكرة أنه بينما كانت الزراعة تُنْشئ المدنيّة إنشاءً فإنها إلى جانب انتهائها إلى نظام المَلَكِيَّةِ، انتهت كذلك إلى نظام الرق الذى لم يكن معروفًا في الجماعات التي كان معاش أفرادها قائما على حرفة الصيد الخالص، لأن زوجة الصائد وأبناءه كانوا يقومون بالأعمال الدَّنيَّة، وكان فيهم الكفاية لذلك، وأما الرجال فقد كانت حياتهم في تعاقب مستمر بين وقت مفعم بنشاط الصيد أو القتال، يليه وقت فتور واسترخاء ودعة بعد إجهاد وعناء بُذِلا في الصيد أو القتال. ولعل ما تنطبع به الشعوب البدائية من كسل قد بدأ، على ما يبدو، من هذه العادة، عادة الاستجمام البطيء بعد عناء القتال والصيد، ولو أنها لم تكن عندئذ كسلاً بمقدار ما كانت فترة راحة واستجمام ضرورية لاستئناف العمل مستقبلا، فلكي تحوّل هذا النشاط المتقطع إلى عمل مطرد، لابد لك من شيئين: العناية بالأرض عناية تستمر يوميا، وتنظيم العمل[٣].

وطالما احتفظ التراث الإسلامي بكنوز دفينة لم يُكشف بعد النقاب عنها، أو قد كُشف وعُتِّم عليها لأغراض مادية أو حضارية ما في نفوس المُعَتِّمِين، وعلى رأس تلك الأغراض القذرة «سرقة الفضل» بنسبته إلى غير أهله، وهو جرم مشهود ثبت أكثر من مرة على طائفة من المستشرقين الذين تعمقوا في دراسة وتحقيق المخطوطات الإسلامية منذ بواكير عصر النهضة الأوربية..

مبدأ أصالة الحرية.. من صاحبه؟!

جاءت المسيحية والرق على هذه الحال، وفيما بين أيدينا من أناجيل كثيرة تقر الكنيسة أربعة منها وتنحي الكثرة الباقية، لا نجد نصا واحدا يشير إلى الظاهرة لا بالشجب ولا بالقبول، مما يعني أن المسيحية بشكل عام أقرت ظاهرة الرق التي أقرتها اليهودية ممثلة في شريعة العهد القديم والتلمود من قبل. والغريب أن المؤرخ «وليم موير» يعيب على نبينا محمدٍ ﷺأنه لم يُبْطِل الرق بإجراء فوري، مع تغاضيه عن موقف المسيحية من الرق، مع أنَّ الثابت من الرجوع إلى الأناجيل الأربعة، الكائنة بين أيدينا اليوم، أنه لا المسيح عليه السلام، ولا أي من تلاميذه أو آباء الكنائس الكبرى نبسوا ببنت شفة فيما يتعلق بشجب ظاهرة الرق أصلا، ناهيك عن أن يضعوا خطة بعيدة المدى للتخلص منها دون أية خسائر.

وفي معجم لاروس الموسوعي [٤] لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره، فإن رجال الكنيسة الرسميين يقرّون بصحته ويسلّمون بمشروعيته. وبالمناسبة، نحن لا نبتغي من وراء هذا العرض تحميل المسيحية مسؤولية الترويج أو التأصيل لظاهرة الرق، فهذه الظاهرة كانت رائجة بالفعل حتى قبل المسيحية بآلاف السنين.. ما نريد قوله أن فترة العصور الوسطى شهدت حقا إشراق شمس الحريات، بمبعث النبي الذي نزل عليه تشريع يضمن تحرير العبيد، وقام هو نفسه بتطبيقه، حتى قبل أن يكون نبيًّا، فحرر من بحوزته من الرقيق عن بكرة أبيهم.

وتعتبر معالجة موضوع «العبودية والمسيحية المبكرة» مهمة صعبة لأسباب مختلفة. أولها أن من الصعب الوصول إلى فهم العبودية في ذلك الوقت. وثانيها أن هناك تحديا متمثلا في تناول القضية بعقلية سائدة تتضمن فكرة إلغاء العبودية. فمن منظور معاصر، من الممكن تقديم حساب نقدي للعبودية والمسيحية المبكرة، حيث تحمي المسافة الزمنية المرء من العواقب المرتبطة بالحكم على العبودية. أخيرًا، هناك التحدي التأويلي المتمثل في التعامل مع نصوص من المسيحية المبكرة من منظور أخلاقي من أجل الوصول إلى الافتراضات المعيارية الحالية، مع احترام النية الأصلية للنصوص.[٥]

الخلاصة أن الدين المسيحي ارتضى الاسترقاق تماما إلى

يومنا هذا، ويتعذر على أي باحث أن يثبت أن المسيحية، كديانة، على مَرِّ تاريخها، سعت في إبطاله.

وطالما احتفظ التراث الإسلامي بكنوز دفينة لم يُكشف بعد النقاب عنها، أو قد كُشف وعُتِّم عليها لأغراض مادية أو حضارية ما في نفوس المُعَتِّمين، وعلى رأس تلك الأغراض القذرة «سرقة الفضل» بنسبته إلى غير أهله، وهو جرم مشهود ثبت أكثر من مرة على طائفة من المستشرقين الذين تعمقوا في دراسة وتحقيق المخطوطات الإسلامية منذ بواكير عصر النهضة الأوربية..

على أية حال، من المجالات التي كانت للإسلام فيها الريادة المطلقة «تحرير العبيد» وإلغاء نظام الرق من أصله. ولأن هذا النظام قديم قدم الحضارة الإنسانية ككل، فليس من المنطقي أن يُلغى هكذا بمجرد نصٍّ ناهٍ، لا سيما وأنه لم يكن ظاهرة ذات بعد أخلاقي كشرب الخمر مثلا، ولكنه نظام اقتصادي متأصل في عمق الحضارات القديمة كلها، فكان لا بد من تأصيل تدابير تلغيه رويدا رويدا على المدى البعيد، حتى يتلاشى كلية. وتمثلت تلك التدابير في حزمة التعاليم القرآنية وتطبيقاتها النبوية بهذا الصدد، ومنها:

١ – إقرار مبدأ المساواة

٢ – التوجيه إلى معاملة الرقيق كأقرباء

٣ – فتح أبواب جديدة للتكفير عن الخطايا، منها فك الرقاب:

٤ – فرض المبادئ الأخلاقية في الحروب للحيلولة دون استرقاق الأسرى

٥ – فرض نظام المكاتبة، وهو نظام وضعه القرآن لمنح الحرية للراغبين من الرقيق، على أن يثبتوا مقدرتهم على تحمُّل مسؤولية أنفسهم، وذلك بدفع مبلغ معلوم إلى المالك، وفق قول الله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾[٦]

مقولة الفاروق ﷺ، تأصيل بمستوى جديد

لم يتوقف فضل الإسلام في إلغاء الرق على الدور التشريعي القرآني وتطبيق السنة النبوية وحسب، بل تعداه إلى تطبيق داخل نظام مؤسسي من أعلى مستوى، ففي أوج الازدهار الروحي والسياسي والاقتصادي للدولة الإسلامية في عصر صدر الإسلام، وفي أثناء خلافة عمر بن الخطاب ﷺ حدث حادث تتناقله الكتب والمواعظ وتردده الألسنة، تغنيًا بعدل أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ، دون أن يُلتفت إلى ما هو أعظم من عدل عمر، ألا وهو مجد الإسلام وظهوره

على الدين كله، وهذا الحادث يرويه أنس بن مالك ﷺ فيقول: «أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم. قال: عُذْتَ بِمَعَاذ، قال: سابقت ابن عمرٍو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عُمَرُ إلى عَمْرٍو يأمره بالقدوم عليه، ويَقْدم بابنه معه، فقدم، فقال عُمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأَلْيَمَيْن، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه. فقال عمر لعمرو: مُذْ كَمْ تَعَبَّدْتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟! (والقول مشهور بهذا اللفظ: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!)، قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني»[٧].. إلى هنا انتهت تفاصيل الرواية.. فالآن دعونا نتقمص عقلية الناس في ذلك العصر، أي القرن السابع الميلادي، حيث فكرة أن الناس جميعا سواسية ويولدون أحرارًا، لم تكن مطروحة أصلا، بل إنه إلى وقت قريب كانت فكرة تصنيف الناس ما تزال سائدة، حتى لدى مفكرين وفلاسفة وساسة أوروبيين وأمريكيين مشهود لهم برجاحة العقل وسمو الفكر!

نعود إلى الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ابن القرنين السادس والسابع الميلاديين، وقد قدَّم بمقولته الخالدة تلك أصلا من أصول الإنسانية يحاول كبار فلاسفة ومفكري وساسة الغرب تأصيله ثم لا تخلو إجراءاتهم من القصور، نعم لقد وُلد الناس أحرارًا، واتفقت دول العالم قاطبة على تحريم العبودية في شكلها التقليدي، وسنَّت القوانين لفرض الالتزام بذلك وتجريم المخالفين، ولكن الجشع والجريمة والتطرف قد اجتمعت لكي تعيد إلى الوجود أنماطًا جديدة من العبودية حيث تقدر إحصائيات الأمم المتحدة عدد الخاضعين لها بحوالي ستة وأربعين مليون إنسان، ويبلغ عدد الأشخاص الذين يُتاجَر بهم سنويًا ما يقارب المليون ونصف مليون إنسان، لتحقق تلك التجارة دخلاً يقارب مائة وخمسين مليار دولار سنويًّا مما يفسر مدى تشبث القائمين عليها بممارستها على الرغم من درجة تجريمها.[٨]

الهوامش:

١ – اتفاقية جنيف لإلغاء تجارة الرقيق ١٩٢٦، مكتبة حقوق الإنسان بجامعة مينيسوتا الأمريكية

٢ – انظر: المصدر السابق

٣ – ول ديورانت، قصة الحضارة،

٤ – معجم لاروس: عمل موسوعي ضخم، يقع في ١٥ مجلدا، وعنوانه الكامل «المعجم الكبير الشامل الفرنسي التاريخي والجغرافي والببليوغرافي والأدبي والفني والعلمي للقرن التاسع عشر».

5 - P.G. Kirchschlaeger, Slavery and Early Christianity - A reflection from a human rights perspective

٦ – (النور: ٣٤)

٧ – هذه الرواية أخرجها ابن عبد الحكم في «فتوح مصر وأخبارها» ص٢٩٠، وأوردها محمد بن يوسف الكاندهلوي في «حياة الصحابة» (٨٨/٢) باب «عدل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه».

٨ – عبد الله بن يحيى المعلمي، «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!»، صحيفة المدينة اليومية، بتاريخ الأحد ٢٧ نوفمبر ٢٠١٦

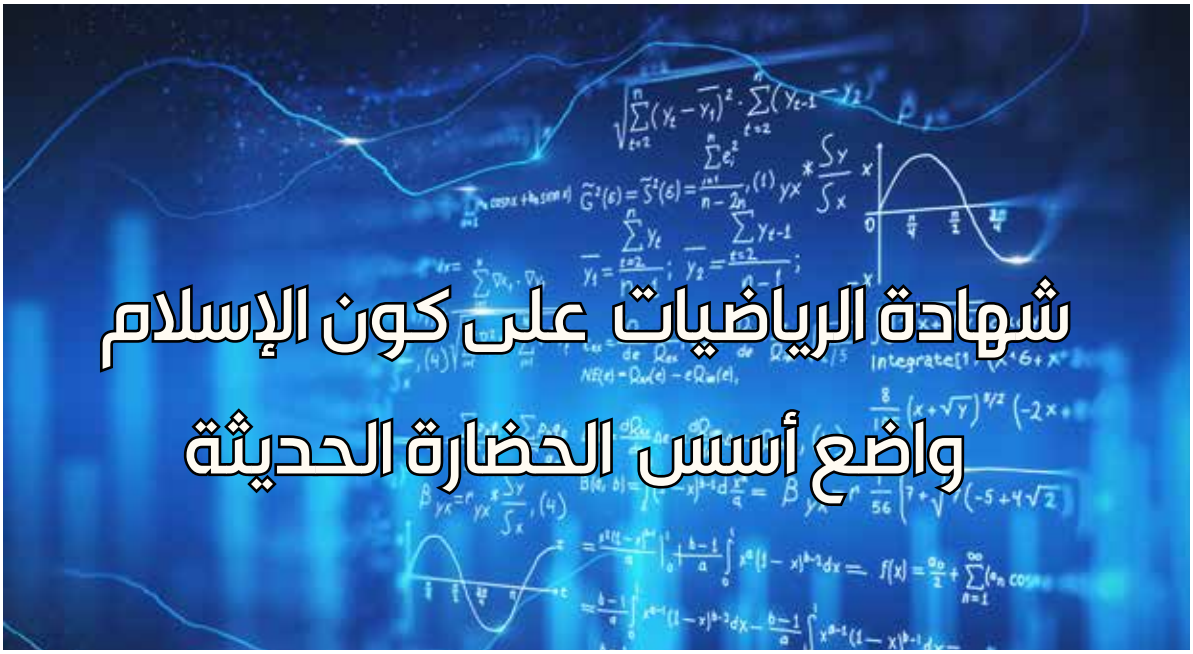

شهادة الرياضيات على كون الإسلام واضع أسس الحضارة الحديثة

تراكمية الحضارة

حضارة كل عصر هي تراكم هائل للمنجزات الحضارية السابقة، وهذا صحيح أيضا بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية التي يسميها الغرب فقد جمعت هذه الحضارة وهضمت نتاج ما سبقها من حضارات العراق وسوريا ومصر واليمن واليونان وفارس والهند وحتى الصين، وضمت بين روادها علماء من الأعراق والأديان التي شملتها الدولة الإسلامية واسعة الأرجاء..

حتى ليبدو لنا أن الحضارة العربية الإسلامية ضفيرة حضارية هائلة، لكن هل توقف بها الحال عند هذا التراكم المعرفي وجمع منجزات الحضارات السابقة؟ كل الحضارات السابقة كانت تتقدم إلى حد ما لتنتج لنا بعض الكتب النظرية في الفلسفة وبعض الكتب في الطب والفلك والرياضيات والجغرافيا، ولم يكن محتوى تلك الكتب يتعدى بعض الملاحظات وتسجيل الظواهر في إطار نظري مع بعض الممارسات البسيطة ويتوقف الأمر عند هذا الحد، وكان هذا الإنتاج المعرفي يشوبه قدر غير ضئيل من الأسطورة، بل وصل الأمر إلى حد امتزاج الأفكار العلمية بالكثير من الأمور الظنية، إن لم نقل بالكثير من الخرافات التي لا أساس لها من تأييد العقل ولا الواقع، ومن ثم ظل العلم نظريا فلسفيا ولم يتجاوز أبدا هذه المرحلة إلا مع الحضارة العربية الإسلامية التي أتيح لها أن تتجاوز هذا الوضع وتصل لأفق الحضارة العلمية الحديثة.

شهادة «الصفر» بفضل الرياضيين المسلمين

لقد اكتملت للحضارة العربية الإسلامية خصائص الحضارة العلمية الحديثة بالفعل، والفارق الكبير الموجود بينها وبين

تونس

مريم شرف الدين

وقد انتقل هذا النظام الرقمي إلينا في القرن السابع الميلادي، واستخدمه أرباب العلم السريان في سوريا وعبرهم شاع استخدامه في الأوساط العربية الإسلامية، وبلغ حد الكمال المعروف اليوم على أيدي الرياضيين المسلمين الكبار كالخوارزمي والكرخي وغيرهما، وصار من الممكن لأول مرة في التاريخ إجراء عمليات حسابية معقدة كالضرب والقسمة المطولة بكل يسر.

الحضارة السائدة في الغرب الآن هو فقط فارق التراكم المعرفي على مدى خمسة قرون خلت، يُضاف إليه فارق نتائج التفاعل الحادث بين العلوم المختلفة، حيث كان الاكتشاف في أحد العلوم يؤدى إلى مزيد من الاكتشافات في العلوم الأخرى، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ابتكار الهنود لنظام أرقام بسيط وسهل لكنه غير مكتمل، وكان هذا النظام قد عرف استخدام الصفر، وإن لم يكن الاستخدام الأمثل الذى نعرفه الآن فهناك فرضيات عن أن الصفر استُخدم فعلا لدى الهنود، لا لتنظيم الخانات، لكن للدلالة على العدم فقط. وقد انتقل هذا النظام الرقمي إلينا في القرن السابع الميلادي، واستخدمه أرباب العلم السريان في سوريا وعبرهم شاع استخدامه في الأوساط العربية الإسلامية، وبلغ حد الكمال المعروف اليوم على أيدي الرياضيين المسلمين الكبار كالخوارزمي والكرخي وغيرهما، وصار من الممكن لأول مرة في التاريخ إجراء عمليات حسابية معقدة كالضرب والقسمة المطولة بكل يسر. وواكب هذا تطوير الحضارة العربية الإسلامية لعلم الجبر مما جعل من اليسير استنباط المعادلات الرياضية كقوانين علمية ثابتة، وتطبيقها في العلوم المختلفة بكل سهولة، الأمر الذي كان مستحيلا قبل هذا.

بيكون وديكارت أم ابن الهيثم والبيروني؟

توصل الحسن بن الهيثم وأبو الريحان البيرونى، كل على حدة، إلى الطريقة العلمية التى تتضمن المنهج المتبع فى البحث العلمى والقائم على التجربة والمشاهدة والاستنتاج.. والمهتمون بتاريخ العلم يدركون تمام الإدراك أن هذه هى لحظة ميلاد العلم الحديث والطفرة التى أنتجت الحضارة الغربية المسماة الآن بحضارة العلم الحديث.. وكَوْن الغرب ينسب هذه الطريقة لـ«روجر بيكون» تارة ولرينيه ديكارت تارة أخرى فهذا إما ادعاء باطل بغير دليل أو جهل بالأصول لأن مخطوطات كل من ابن الهيثم والبيروني تثبت سبقهما إلى أصول المنهج العلمي بصورة حاسمة.

نموذج للتراكمية.. كيف يطوِّر العلم الحديث ذاته!

شيء هام آخر أنتجته الحضارة العربية الإسلامية وكان له تأثيره الهائل على مسيرة العلم وأثمر فيما بعد ـ وليس في عصره الكثير من النتائج ـ ذلك أن ابن الهيثم عكف على دراسة عجيبة غريبة لم يحفل بها عالم قبله، ولولا دراسته لها فلربما تأخرت مسيرة العلم لآلاف أخرى من السنين. لقد

درس عالمنا العبقري الظلال والخيالات ومسارات الضوء عبر الثقوب الضيقة وعبر العدسات، ودرس انكسار الضوء، ولخص نتائج دراساته في كتاب «المناظر» الذى يُعد أساس علم الضوء وأساس الكثير من الابتكارات العلمية وأدوات القياس العلمي والدراسة العلمية مثل النظارات والتلسكوب والميكروسكوب وكل الأجهزة الحديثة التي تعتمد على الضوء وصولا إلى كاميرات السينما والتلفزيون والكمبيوتر، وصحيح أن ابن الهيثم لم يتوصل إلى ابتكار هذه الأجهزة الهامة عينها لكنه وضع الأساس العلمي الأول عبر التراكم المعرفي إلى كل هذه الابتكارات الحديثة.. وهذه الأجهزة بالتحديد أضحت أدواتٍ علمية استعملها العلم الحديث في تطوير ذاته؛ فالتلسكوبات مثلا ساهمت في تطوير علم الفلك وخدمت الملاحة البحرية، والعدسات والميكروسكوب ساهمت في تطور الطب وعلوم الأنسجة والميكروبيولوجيا.. واكتشاف ابن الهيثم للبيت المظلم صار أساسا للكاميرا التي قامت عليها الذاكرة البصرية للبشرية، والذي حال بين ابن الهيثم وبين التوصل الفعلي للكاميرا هو أن علم الكيمياء في عصره لم يكن قد توصل بعد للألواح الحساسة التي تنطبع عليها الصورة...

حساب المثلثات.. علم إسلامي خالص!

الطفرة التي أحدثتها الحضارة العربية الإسلامية في علم حساب المثلثات جعلته علما عربيا خالصا، وقد تفرع العلماء العرب والمسلمون منه إلى ابتكار علم حساب المثلثات الكُرِّيّ، وهذان العلمان لهما أكبر الأثر في تطور علم الفلك الذي لاعتبارات دينية وأخرى متعلقة بالتنجيم، بلغ شأوا بعيدا على أيدي العرب والمسلمين.

نقل العرب البارود عن الصينيين، لكنهم توصلوا لنظرية البارود المتفجر واستخدموه في صنع الأسلحة النارية التي أخذها الغرب عنهم وتمكن من تطويرها بسرعة لأسباب تأتي لاحقا، فقد كان للغرب نقطتا تفوق واضحتان على العالم الإسلامي، الأولى تمثلت في الفن التشكيلي والنحت والثانية تمثلت في فن تجهيز سبائك المعادن لصنع أجراس الكنائس التي تتسم بالرنين القوي ونقاء الصوت. وعندما نقل الغرب عنا سر الأسلحة النارية كان هو الأقدر على تطويرها وصنع أجيال متفوقة من المدافع؛ ذلك أن فن النحت وصب التماثيل أتاح للغرب التحكم بصورة أفضل في القوالب التي ستصب فيها المدافع وصنع نماذج كبيرة الحجم وذات مجار اسطوانية منتظمة القطر، وفن سبك النحاس أعطى للغرب الخبرة في تجهيز سبائك الحديد الملائمة للمدافع والتي تتحمل الحرارة العالية ولا تتلف من قذيفة أو عدد قليل من القذائف، ومن ثم أمكن للغرب تحقيقُ تفوقٍ كبيرٍ في صناعة الأسلحة النارية التي كان هو نفسه قبل عقود قليلة يظنها تعمل بفعل الشياطين، وبهذه الأجيال المتطورة من المدافع التي حملتها السفن البرتغالية ومن بعدها السفن الإسبانية والفرنسية والإنكليزية وُلدت قوة الغرب.. ففي فبراير عام ١٥٠٩ تمكن أسطول برتغالي مدعوم بسفن من جمهورية البندقية الإيطالية وجمهورية راكوسا الكرواتية من تدمير الأسطول «المصري العثماني الهندي المشترك» في معركة ديو البحرية قرب ساحل الهند الغربي، وترتب على هذا انحسار سيطرة العرب والمسلمين على البحار ليسودها الأوربيون ويفرضوا سيطرتهم على الشواطئ ويفرضوا معها الاتفاقيات التجارية ليبدأ عصر الثراء الأوربي والهيمنة الأوربية على العالم.. ودبَّ الضعف والفقر في الشرق ودخلنا لعدة قرون في سبات شتوي لم نكد نفيق منه إلى الآن..

ومع ذلك تبقى الحضارة العلمية العالمية الحالية هي نفسها الحضارة الإسلامية بكل خصائصها الأساسية، وإن وضع عليها المالك الجديد شارته وأعلامه وأطلق عليها اسم «الحضارة الغربية» بناء على التراكم المعرفي الذي حققه هو.

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 4, August 2026

www.altaqwa.net